قضايا إسلامية

دليل الحاج إلى بيت الله الحرام

السيد محمود أبو الفيض المنوفي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

اهداءات ٢٠٠٢

حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

قضايا إسلامية

دليل الحاج

إلى بيت الله الحرام

مؤسس على نصوص من الكتاب
والسنة ومذاهب الائمة وآراء
الصوفية . مع التطبيق العملى المبسط
الذى يفهمه كل انسان وفوق هذا
وذاك فانه دليل مرشد .

تأليف السيد محمود أبو الفيض المنوفي



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الله أكبر

بسم الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الاكرم ، وعلى آله واصحابه وسلم .

الله أكبر ماتوجه الى الله مخلص لدين الله ، والله أكبر ماقام فى الارض موحد لله .

الله أكبر ماانسلخ مسلم من ماله وأهله مهـاجرا لله فى سبيل الله .

الله أكبر ماأم الحجيج بيت الله محبـة فى الله وتلبية لأوامر الله .

الله أكبر مادام بيت الله الحـرام مثابة للنـاس وأمنا ورحمة من الله لعباد الله .

الله أكبر ما أحرم للحج مسلم طاعة واحتسابا لله .

الله أكبر مااجتمع المسلمون شبابا وشيوخا فى حرم الله يرجون وجه الله .

الله أكبر وله الحمد على نعمة التوحيد والاسـلام والايمان .

الله اكبر نشكره على ماشرع للمسلمين من فـرائض الاسلام دين الله .

حيث جعل الوحدانية شهادة ، والصـــلاة قربة ، والزكاة طهرا ، والصوم صحة ، وجعل الحج لمن اسـتطاع اليه سبيلا : تجردا لله عن المال والأهل والولد وهجـرة فى سـبيل الله .

وبعد ، فلما كان الحج وسائر اوضاعه الحكيمة بمثل هــذه المثابة كان من افضل النعم الاجتماعية على المسلمين . وقد جعله الله لهم عيدا أكبر تأوى اليه الارواح والاجساد جميعا بين يدى الله خاضعة ومستجيبة لأوامر الله .

ذلك يوم فيه يتوجه المسلم بقلبه ، بل بروحه وكل معانى ذاته الى ربه محرما ، ملبيا متجردا من أسباب الدنيا جميعها الا بما ستر عورته من ثوب غير مخيط يمثل له نهاية دنياه : يمثل له الكفن ، فهو كأنما يتدرب بهذه الوسيلة على لقاء الله ، قبل حلول الموت . فيفكر ويعتبر وينظر كيف دخل الدنيــا متجــردا ، قادما اليهــا من طريق ربه ، ثم يخرج منها متجردا ، ذاهبا فى طريق ربه .

كل ذلك اذا تأمله الرجل المسلم يجده مرموزا فى هيئة الاحرام، وفى بقية شعائر الحج ومناسكه ، فيتأمل ذلك كله مليــا ، فى أناة وبجوارح متعطلة وعاملة فى وقت واحد ، متعطلة من كل دواعى الدنيا وشئونها ، وعاملة فى وقت واحد دائمة فيما يختص بشئون الآخــرة ودوامها .

وكأنما يضع المسلم بهذه الوسيلة ـ وسيلة الحج ـ هدنة صحيحة، بسائر بنودها وشروطها بينه وبين الشيطان ، بينه وبين متاع الدنيا ودواعيها وجميع مشتهيات النفس وجمحات الهوى ، ما حرم الله من ذلك وبعض ما أحل بواسطة الاحرام .

ومن دأب الشيطان الأمر بالفحشاء والمنكر ، والرجل المسلم الذى دخل فعلا فى الحج قد أحرم لله ، وخلف وراءه أوامر الشيطان وتزيينه، والشيطان ـ منضمة اليه النفس الأمارة بأوصافها من الجشع والطمع والخوف من الفقر ـ قوة مضللة ، وهذا الرجل وقد تجرد من جميع ما ملك وما اقتنى ولو مؤقتا ، ملبيا لله ، فلا سلطان لهما على قلبه أو عقله .

والشيطان والنفس يوحيان بأن الحياة دائمة خالدة ، والاحرام وهو بديل الكفن يوحى بأنها زائلة فانية ، والنفس تتشبث بالمال والمتاع والولد ، والرجل قد خلف ذلك وراءه ، مستجيبا لله فى سبيل فريضة أمره الله بأدائها .

والنفس من طبعها الجموح عن شرائع الله وحدوده الى نزوات الهوى وجمحاته . والرجل قد أدار ظهره لكل ملابسات ما يحب من متاع الدنيا ويهوى .

وفوق ذلك فان فى الحج جلالا من صافى الاسلام . وجمالا من خالص الهدى ، ومشرقا من صريح النور ، وزورة مباركة لبيت الله الحرام وتحية لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم فان وراء كل ذلك فترات للتروى والتأمل يحاسب فيها المسلم نفسه ويراجع أعماله ، وهو ملابس بالفعل للتقوى ولاشك انه ان تاب حين ذلك تكون توبته مقبولة ، ويالها من لحظات قيمة أتيحت من عند الله لذلك الذى أطاع الله وعصى شيطانه وهواه .

وفى مثل تلك المواقف الكريمة ينيب قلب الرجل المسلم الى ربه ملبيا مخلصا دون قناع من رياء أو حجاب من غفلة ، وحينئذ ينحصر وعيه فيما لله عنده من نعم ، فهو شاكره عليها ، وفيما بينه وبين ربه من زلات فهو مستغفره عنها فيغفرها له .

عيد والله كبير ذلك اليوم الذى يتجمع فيه بواسطة الحج قلب

المسلم على ربه عن كثب دون ستار أو حجاب ومن طريـــق مباشر لا مواربة فيه لأجل معصية ولا سبيل فيه لاعجاب بطاعة .

وماذا أنت قائل في شأن رجل مسلم أراد أن يفتدى نفســه من عذاب الله بأن يحج لله طاعة لأمر الله لا يريد سوى وجه الله .

ثم وراء هذا وذاك فان الله قد جعل الحج للمســـلمين بمثابة مؤتمر دورى عام أو جامعة اسلامية يتلاقى فيها المسلم بالمسلم ، وجها لوجه ، مجيبا بالتلبية والانابة بدلا من التحية المألوفة ، أو قل انه مجمع سنوى كبير يلتقى فيه المسلم الحاكم بالمسلم المحكوم والسيد بالمسود مواجهة وكتفا بكتف في ساحة الله مجتمعين على طاعه الله بل يتلاقى فيه عالمهم وجاهلهم لقاء فكر بفكر ، ورأى في مقابل رأى ، وهكذا يلتقى فيه المسلم الأبيض البشرة بالمسلم الأصفر والأسمر، لون يؤاخى لونا بلا امتياز ولا فضل ما داموا اخوانا في دين اللــــه وحجاجا الى بيت الله فالجميع اخوان في طاعة الله وفي حرم الله وبين يدى رب العالمين كبيرهم وصغيرهم ومتبوعهم وتابعهم وان تغايرت بلدانهم وألوانهم ولغاتهم .. الخ . فالتغاير يكون في المظاهر وحسب ، وأما في الروح والفكر والعقل والغاية فالجميع في ذلك وحدة موجودة وناهيك بقوم معتقدهم التوحيد والوحدة ، وشعارهم لا اله الا الله وأساس اجتماعهم أنهم اخوان في الاسلام ، تجد كل ذلك في الحج واقعا بالفعل ، تدفع اليه مضاعفة الايمان بتلك الانوار وعزة الاسلام وهدى اليقين وقدسية البيت وأنوار روح الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهذا التكتل والتآخى والتوحيد في بيت الله وبين يدى رســول الله صلى الله عليه وسلم انما هو شعار المسلمين جميعا وهو رمز يشير الى تكتلهم ، وتواصلهم ، واجتماع شملهم في كل أمر بدا سواء في اوطانهم أو في غيرها .. اللهم فحقق كل ذلك للمسلمين . آمين .

وكل هذا من بعض انواع النعم والأفضال الالهية الكامنة في الحج

وفى روعة التجرد له . والتوجه لبيت الله تلبية لنداء الله وطاعــة لأمره .

ولما أردت نفع بنى أمتى وأهل ملتى صحت عزيمتى على أن أبسط لهم سبيل الحج بالطريقة التى لا يجدون فيها غموضا أو التــواء لاسيما وان الخطأ فى بعض أركان الحج يقتضى دما (ذبيحة) ورجعت الى مراجعى ، فوجدت أن أحكام الحج ومناسكه في الفقه متشعبة ، فضلا على مافيها من مصطلحات فقهية كالفرق بين الفرض والواجب والركن والسنة وغير ذلك .

فاشفقت على سواد المسلمين من حجاج بيت الله الحرام الذين لم يتلقوا من أبواب الفقه مثل هذا الباب ، ((باب الحج)) فيشــكل عليهم تطبيقه،ولاسيما من الناحية العملية، فرأيت لتسهيل المسالة على طالبيها ، وبالأخص فى الدعوات المأثورة وغير المأثورة مما يقال فى الاحرام والطواف وغيره من ملابسات الحج تنويرا للنــاس ، فوضعت هــذا الكتيب وسميته :

((دليل الحاج الى بيت الله الحرام)) زلفى الى الله ، واكتسابا لعطف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أبو الفيض المنوفى

ما هو الحج ؟

الحج | فريضة عينية على كل مسلم حر عاقل بالغ قادر على الزاد والمطية بعد اداء مالابد منه من نفقة يتركها لمن يعول مــع أمن الطريق ، وهو شرط الاستطاعة وذلك فى العمر مرة على الفــور كما عند بعض الأئمة وعلى التراخى كما عند بعضهم وذلك ظاهر فى قــول الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .
واما السنة فهى قول النبى صلى الله عليه وسلم أن الحج فرض مرة واحدة فى العمر ، ففى الحديث الذى أخرجه الامام احمد فى مسنده والدار قطنى فى سننه والحاكم فىالمستدرك عن ابن عباس ولفظه ((قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يأيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج فقال الأقرع بن حابس .. أفى كل عام يارسول الله ؟ قال له : لو قلتها لوجبت ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فتطوع) .

ومعنى الحج فى اللغة : القصد الى بيت معظم . وفى الشريعة : القصد الى بيت الله الحرام وهو الكعبة . وتمام هذا الركن الخامس من أركان الاسلام الطواف والوقوف بعرفة وما لابس ذلك من احرام وسعى وغير ذلك من بقية مناسك الحج ، وكانت العــرب تحج الى الكعبة قبل الاسلام لاعتقادهم انها بيت الله .

وان من أهم الروابط الاجتماعية ((رابطة العقيدة ولون الطاعة ورابطة اللغة وكذلك رابطة التشاريع المشتركة والتقاليد والقومية))

ومايتبع ذلك من توحد فى الأهداف والمشاعر ، وتوحيد الغاية فى الحياة .. الخ . واجمالا : فان الحج من هذه الناحية هو من اقوى الروابط الاجتماعية وفيه للمسلمين سائر المنافع الدنيوية واقومها وابلغها ، وكذلك سائر المنافع الاخروية بحذافيرها ، لانه وان كانت قواعد الاسلام خمسا ، ذكر الرسول منها الشهادة واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج للمستطيع ، فان هذه الشعائر والأركان كلها مجتمعة في الحج ، وذلك في تكرير الشهادة والتلبية وما الى ذلك مما يختص بالعقيدة ، وكذلك سائر انواع العبادة يجدها المسلم مطبقة فى الحج ، فهو هجرة الى الله وتجريد مؤقت من الأهل والمال وشهوات النفس وزينة الدنيا . وقد قلنا فى المقدمة : ما الاحرام الا تدريب للنفس على الاستعداد للموت وحسبك أن لباس الاحرام شبيه بالكفن ومشعر به

هذا فضلا على ماتفيضه الهجرة الى الله وتلك الانابة العارمة من انوار الايمان وتقوية المعتقد وتثبيته .

وأما المنافع الدنيوية والاجتماعية من قومية وسياسية فحسبك فى ذلك أن الحج مؤتمر اكبر ، اليه يتوافد المسلمون على اختلاف الوانهم والسنتهم وعلى تباعد مواطنهم وتباين مواقع أراضيهم ، لأداء مناسك الحج والتداول فى شئونهم العامة وصوالحهم الخاصة ، وفيه يتوحدون ويتضامنون فى دفع ما يقتضيه التنازع على الحياة من مطامع للغير فى بلادهم مما يدفع كيد المعتدين ويوجب الأمن والحرية للمسلمين .

فهو قوة جماعية لقوميتهم ، وآه لو تنبه المسلمون لاستغلال تلك الطاقة الكبرى فى جمع شملهم وتنمية صوالحهم وتوحيد سياستهم(١)، وذلك لن يكون الا اذا نظم المسلمون هذا المؤتمر الكبير على حسب القواعد الحديثة ، واجتمعوا فيه بعد الانتهاء من جميع مراسم الحج مباشرة ، وتبادلوا الرأى فى الكيفية التى يتم بها توحيد الأهداف

---

(١) لعاد من ذلك على مجتمعهم النفع العظيم .

وتكتيل الجهود بحسب الظروف والأحوال ، لان موسم الحج الذى شرعه الله للمسلمين ليشهدوا فيه منافع لهم دينية ودنيوية هـو الفرصة العظمى السانحة لتضامنهم واتحادهم وللتفاوض فيمـــا يلم شملهم ويوجه مصالحهم ويحفظ كيانهم بالدفاع عن معنى وجـــودهم واسترجاع سيادتهم وحريتهم ، ولن يصل المسلمون الى هدفهم المرجو الذى قصده الشارع من وراء اجتماع الحج الا اذا كان مؤتمرهم هذا خالصا لله ورسوله ، وهادفا لوحدة أبناء العروبة والاسلام ، وبعيدا عن أن يكون أداة للتفرقة والتحزب ، وأن يكون دعاته على وعى عميق بمصالح العرب والمسلمين ، ويقظة لأهـداف الأعـداء الذين يودون لدسائسهم ومؤامراتهم أن تمتد حتى الى هذا الاجتماع الاســـلامى العظيم .

وفى الحج وراء كل ذلك حقائق ومنافع جماعية وفردية سنذكرها عند المناسبة . والنتيجة ان هذه كلها منافع دنيوية وأخروية وفى الحج جماع العبادات كلها . فان كانت الصلاة عبادة قلبية وجسدية ،والزكاة عبادة مالية ، والصوم عبادة جسمانية ، فان فى الحج العبادةالجسمانية والمالية والروحية مجتمعة ، وواضح ان الحج احد اركان الاســلام الخمسة ، ومعناه القصد الى بيت اللهالحرام بمكة المكرمة لأداءالمناسك فيه ، وفيما جاوره من الأماكن الشريفة وهذا النســك منه اركان وواجبات وسنن وضروريات ومستحبات . والعمرة كالحج فى اركانـه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه غير مشروع فى العمرة . وتكون العمرة فى اشهر الحج وغير أشهره ، وهى واجبة عند بعض الأئمة ، وسنة عند البعض الآخر ، ويجوز الجمـع بين الحج والعمرة بان ينويهما معا ويلبى بهما لله تعالى عند الاحرام ويسمى هذا (قرانا)، وأن ينوى الحج وحده ويلبى به ثم يدخل عليه العمرة ويسمى هـــذا (افرادا) أو أن ينوى العمرة وحدها او مع الحج ثم يتحلل منها بعـد اداء اركانها ويحرم بالحج بمكة ويسمى هذا (تمتعا) ، لان المتمتع يتمتع بعد التحلل من احرامه بما يتمتع به غير المحرم مثل لبس الثياب

والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه حينئذ فدية وهى ذبح شاه أو صيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجع الى أهله من الحج .

وأما ايراد النصوص الشرعية من الكتاب والسنة واجتهاد الأئمة فى مناسك الحج بسائر أركانه وواجباته وسننه فذلك ما سنبدأ فيه ان شاء الله .

***

والآن نريد أن نقول : ان الدين الاسلامى لم يخصص طائفة مخصوصة للدفاع عن مبادئه والذود عن حياضه ، لانه يعتبر ذلك واجبا على كل من دان لعقيدة التوحيد واعتنق الاسلام شريعة ، فالمسلمون جميعا فى ذلك الواجب سواسية بشريطة العلم واما نفس تعاليم الاسلام الفقهية والارشادية ففرض كفاية .

واما تكتل المسلمين وتوحدهم والنظر فى سائر مصالحهم الدينية والدنيوية مجتمعة فواجب عين مقدس على الجميع تفرضه اخوة الاسلام ومقتضيات العقيدة .

ولذلك حث القرآن وحضت السنة على تنمية جميع الوسائل التى تجعل أواصر الوحدة الاسلامية وتمكينها شرعة يسلكها جميع المسلمين على حسب تطورات الأحوال وما يقتضيه مجتمعهم من علائق دينية وسياسية وروابط ادبية أو اجتماعية .

ولهذا السبب نفسه يقول الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله

جميعا ولاتفرقوا) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) .

والدين الاسلامى لم يشرع أحكامه لأجل شئون الآخرة فقط ولكنه دون غيره من الأديان وبمقتضى نصوصه فى عمومها دين الدنيا والآخرة. وقد جعل التكافل بين المسلمين فى صوالحهم جميعا دستورا يأمر بالأخذ من هذه وتلك . فعلى المسلمين أن يتخذوا من أصول دينهم نبراسا يهديهم ، وأن يوفقوا بين ماتلزم به تلك الأصول من قوة فى الايمان وماتحتمه سنن التطور من روح تتلاءم مع الاوامر المنزلة لدنياهم، ثم الاجتهاد فى حاجات عصرهم أولا بأول مما تسعه دائما شريعة الدين الاسلامى الصالح بطبيعته لكل زمان ومكان ، فلو سلمنا بأن كل هذا واجب على جميع المسلمين ، وانه أمر شامل يحتاج الى زمان ومكان جامعين شاملين ، وفى أحوال تتاح فيها الفرصة بتجمع الجمع الغفير من المسلمين بصفة تتوافر فيها شرائط الاجتماع الكامل الذى يمثل مؤتمرا عاما يحوى بعوثا منهم على مختلف ألوانهم ولغاتهم ـ رأينا أن تلك الشرائط كلها لاتتوافر فى مكان أو زمان أو صفة سوى زمان الحج ومكانه وصفته ، والمسلمون متجمعون ومتجردون لطاعة الله وطلب رضوانه والاستفادة مما فرضه الله على أهل الاسلام من حج الى بيته الحرام . وقد أمر الله رسوله ابراهيم بأن يؤذن فيهم بالحج ليشهدوا منافع لهم دنيوية وأخروية فى وقت واحد .

واليك النصوص

«ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه

آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

التفسير

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى أمور :

الامر الاول : بيان ما للبيت من الفضائل والمزايا التى منها : أنه أول بيت جعله الله موضعا للطاعات والعبادات ، ومكانا للطواف ، ومقصدا للحج والعمرة ، ومباركا بزيادة الخيرات ومضاعفة الحسنات لمن قصده أو اقام فيه ، هدى للعالمين يهتدون به الى وحدة دينهم وجمع شملهم وذلك هو الفضل العميم والخير الجسيم بما اشتمل عليه من الآيات البينات التى منها مقام ابراهيم أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بنائه للبيت ، ومنها : من دخله كان آمنا فلا يطلب فيه أحد بدم ولايقطع شجره ولاينفر صيده ، وكذلك كان الامر فى الجاهلية : كان الرجل يقتل فيضع صوفه فى عنقه ويدخل البيت الحرام فيلقاه ابن المقتول ولايكلمه ، ومنها : اهلاك من قصده من الجبابرة كما حصل لأصحاب الفيل وغيرهم. وهذه الفضائل والمزايا التى للبيت التى افادها الله تعالى بقوله : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا .. »

الأمر الثانى : بيان فرضية الحج وانه واجب على كل مسلم بالغ بشرط أن يستطيع السبيل الموصل اليه . وقد فسر صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة ، ويدخل فى الاستطاعة دخولا أوليا أن تكون الطريق الى الحج مأمونة بحيث يأمن الحاج على نفسه

وماله ، أما لو كانت الطريق غير آمنة فلايجب الحج . وقد بين الله ذلك بقوله : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)) .

الأمر الثالث : بيان جزاء تارك الحج وقد بينه الله تعالى بقوله: ((ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)) . أى ومن ترك الحج جاحدا لهذا الركن من أركان الاسلام فان الله غنى عن العالمين ، لأن الله جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع الا لنفعهم فلا تعود عليه طاعات عباده باسرها بنفع . وعبر جل شانه عن الترك بالكفر تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه وبعده عن فضل الله سبحانه وتعالى ما يتعاظمه سامعه ويرجف بـه قلب تاركه . جعلنا الله ممن اتبع طاعته ولازم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

***

وانظر الى قول الله تعالى :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فـكلوا منها وأطعموا البـائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)) .

التفسير

تشير هذه الآيات الكريمة الى بيان فضل الحج وعظمة مكانتـــه عند الله وشدة رعايته له وعنايته به من حيث أمر نبيه ابراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت : أن ينادى فى الناس ويدعوهم الى حجه . ووعده بانه اذا دعاهم اليه ياتوه مشاة وركبانا من ســائر بقاع الارض ، وهذا ما اثبته الله فى كتابه بقوله تعالى : «وأذن فى النــــاس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » اى ناد ياابراهيم فى الناس داعيا لهم الى الحج الى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه ياتوك رجالا ، أى ماشين على ارجلهم وراكبين على كل بعير ضامر مهزول بما انتابه من عناء السفر من كل فج عميق ، أى طريق بعيد .

ولما أمر الله جل شانه نبيه ابراهيم عليه السلام أن يدعـــو الناس للحج الى بيته الحرام أشار الى أن ذلك ليس عبثا وانمـــا هو لمقصدين مهمين .

أولهما : ليشهدوا فيه منافع لهم . والثانى : أن يذكروا الله فى ايام النحر - فقال فى الامر الاول «ليشهدوا منافع لهم» أى ليحضروا منافع لهم وهى أهم من أن تكون دنيوية أو أخروية فالأخروية هى مافيه من الأذكار والصلوات والتسبيحات مما يقتضى رضوان الله تعـالى ورفعة شأن الاسلام باجتماع أهله من سائر النواحى والاقطار فى بقعة واحدة ليظهروا دين الله وعزة المسلمين وتظهر به قوة المسلمين وعدتهم وارتفاع شوكتهم ومنعتهم الى غير ذلك .

والمنافع الدنيوية هى مافى الحج من التعارف والتآلف والتوافق بين الشعوب الاسلامية بما يحدث بينهم من اختلاط وارتباط ، وما

يصيب فقراءهم من لحوم الذبائح والتجارات الى غير ذلك من المنـافع والفوائد التي سبقت الاشارة اليها فى الكلام عن الحج .

ولذلك قال : «ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» أى وليذكروا اسم الله على هديهم وضحاياهم التى يذبحونها فى أيام معلومات وهى أيام عيد النحر لياكلوا منها ويطعموا البائس الذى مسه الجوع من شدة الفقر .

ثم أمر الله جل شأنه الحجاج بعد الاتيان بمناسك الحج وأعماله وبعد خروجهم من الاحرام أن يزيلوا ماعليهم من الأوساخ والأدران ويوفوا بما نذروا من أعمال البر والخير ان كانوا قد نذروا شـيئا ثم بعد ذلك كله يطوفون بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو ركن من أركان الحج وبه تمامه ، ويكون هذا الطواف يوم النحر ((ثم ليقضوا تفثهم)) أى يزيلوا وسخهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ((الكعبة)) .

***

((الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خـير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب)) .

التفسير

تفيد هذه الآية الكريمة أمرين :

الاول : بيان وقت الحج . وهو مابينه الله تعالى بقوله ((الحج أشهر معلومات)) (أى وقت أدائه فى أشهر معلومات) وهى شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة وقد صح اطلاق الجمع على شهرين وبعض الثالث ومن هذا التوقيت يؤخذ عدم جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج فمن أحرم به قبلها كان كمن دخل فى صلاة قبل وقتها .

الثاني : النهى عن الرفث والفسوق والجدال . وهو ماعناه الله تعالى بقوله : ((فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج)) أى فمن ألزم نفسه وأوجب عليها الحج فى هذه الأشهر بالشروع فيه بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا تعبدا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا فليجتنب الرفث وهو الجماع كما فى قوله تعالى : ((أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)) وكذا دواعيه من اللمس والتقبيل ونحو ذلك ، وكذلك التكلم بهبحضرة النساء ، وكذا الفسوق وهو جميع المعاصي سواء كانت مما نهى عنه فى الاحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وتقليم الاظافر وغيرها وكذلك الجدال وهو المراء والخصومة بأن تمارى صاحبك حتى تغضبه . وتخصيص النهى عن الفسوق والمراء بالحج مع أن النهى عنهما عام فى جميع الأوقات والأزمان لأنهما فى الحج أصبح وأولي منهما فى غيره ، ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)).

وبعد أن نهى جل شأنه عن اتيان القبيح قولا وفعلا حث على فعل الجميل وأخبر أنه عالم به وسيجزى عليه أحسن الجزاء يوم القيامة فقال : ((وماتفعلوا من خير يعلمه الله)) وبعد النهى عن القبيح والحث

على الجميل أخذ فى الأمر باتخاذ الزاد فقال : ((وتزودوا)) أى اتخذوا من الزاد مايبلغكم سفركم وذلك لأن بعض العرب كانوا يقولون : كيف نحج بيت ربنا ولايطعمنا ؟. فكانوايحجون بلا زاد ويقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كلا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأخذ الزاد معهم ولما أمرهم بالزاد للمسافر فى الدنيا أرشدهم الى زاد أنفع وأولى وهو زاد الآخرة ويكون بالتقوى فقال : ((فان خير الزاد التقوى)) وبعد أن عمم الامر بالتقوى لسائر العباد عمد الى تخصيص ذوى العقول والأفهام منهم فقال : ((واتقون ياأولى الالباب)) لانهم هم القابلون لاوامر الله والناهون بتنفيذها .

***

((ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) .

التفسير

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أربعة أمور :

الامر الاول : الترخيص لمن حج فى التجارة ونحوها من الاعمال التى يتوصل بها الى الرزق وهذا هو المشار اليه بقوله تعالى : ((ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم)) أى لا اثم عليكم فى ان تبتغوا وتطلبوا فى مواسم الحج رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة مع سفركم لتأدية ماافترضه عليكم من الحج وذلك من قبيل الرخصة لاغير وتركه أولى ، لانه تعالى يقول : ((وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)) والاخلاص لايتحقق الا اذا لم يكن حامل على الفعل سوى كونه عبادة .

الامر الثانى : الافاضة من عرفات الى المزدلفة والحث على ذكر الله بها عند المشعر الحرام أى مما يليه ويقرب منه فانه أفضل والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يسمى جبل قزح وقوله تعالى : ((فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)) أى فاذا دفعتم أنفسكم من عرفات الى المزدلفة فهناك اذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتكبير وصلاة المغرب مع العشاء جمعا فانها لم تصل بعرفات ويستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة ، لأن الافاضة لاتكون الا بعده ولايتم الحج الا به على قول بعض الأئمة : ((ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع منها وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفه)) .

ولما بين جل شأنه أحكام الحج ومناسكه أخذ ينبه المخاطبين

الي ما أنعم عليهم من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج فقال : ((واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)) أى واذكروه تعالى لهدايته اياكم وان كنتم من قبل هـذا الهدى لمن الضـــالين الجاهلين الذين لايعرفون كيف يذكرونه ويعبدونه .

الأمر الثالث : الحث على الافاضة من مزدلفة الى منى . كما فعل سيدنا ابراهيم عليه السلام والى ذلك الاشارة بقوله : ((ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)) أى بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا منها الى منى من حيث أفاض الناس . والمراد بهم ابراهيم عليه السلام وغيره وقوله تعالى : ((واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)) أى واستغفروا الله من مخالفتكم مثل هذه المواقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم أى ساتر للذنوب عباده برحمته .

الأمر الرابع : مايعمله الحاج بعد فراغه من اعمال الحج . وهذا مابينه الله تعالى بقوله : ((فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا)) وذلك لأن العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى وذكروا مفاخر آبائهم ومناقب أسلافهم بالمنظوم والمنثور من الكلام الفصيح ، فأبدلهم الله مكان ذلك أن يذكروه جل شانه بـل يكون ذكره أشد . ولما أرشد الله عباده الي ذكره وكان الدعاء نوعا من أنواع الذكر جعل من يدعوه قسمين :

أحدهما يطلب حظ الدنيا ولايلتفت لحظ الآخرة وهو المراد بقوله تعالى ((فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخـرة من خلاق)) أى من نصيب .

والثانى : يطلب الامرين جميعا وهو المراد بقوله تعالى : ((ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)) وقد جمعت هذه الدعوات كل خير فى الدنيا والآخرة وصرفت كل شر كما لايخفى . والله تعالى يؤتى كلا بحسب طلبه والله عليم بمـا فى الصدور .

***

«ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم» .

التفسير

تشير هذه الآية الكريمة الى فريضة السعى بين الصفا والمروة لمن حج أو اعتمر أى أراد فعل العمرة والحج . والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان .والأصل فيه سعى هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام وترددها بينهما فى طلب الماء لولدها اسماعيل عليه السلام لما نفد ماؤهما وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضياع حين ذاك قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد فى هذه البقعة بين الصفا والمروة متذللة لله خاضعة وجلة مضطرة فقيرة الى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وانبع لها زمزم بمنزلة زاد وماء ولم تزل كذلك الى اليوم . فالساعى بينهما ينبغى أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله فى هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنوبه وأن يلجأ الى الله عز وجل فى تطهيره من النقائص والعيوب وان يهديه الصراط المستقيم ، وأن يثبته عليه الى مماته وأن يحوله من حاله الذى هو عليه من الذنوب والمعاصى الى حالة الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام .

وحيث كان الصفا والمروة من شعائر الله واعلام دينه فلا اثم على من أراد الحج والعمرة أن يطوف بهما بان يسعى بينهما لقوله

تعالى : «ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم» أى من فعل خيرا ومنه السعى المذكور على سبيل أنه طاعة الله تعالى يتقرب بها اليه فان الله شاكر له ومثيبه على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه ولايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .

***

«ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام» .

التفسير

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان تحريم الصيد فى الحرم سواء كان الصيد بالايدى او بالرماح وقد اختبر الله المؤمنين بذلك لتظهر طاعة

الطيع منهم من غيره وهذا ماشار الله تعالى اليه بقوله : «ياأيهاالذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب» أي يا أيها الذين آمنوا بالله ليعاملنكم الله معامله من يختبركم ليتعرف حالكم بشيء من مصيد البر لافرق فى ذلك بين صغاره التى يمكن صيدها بالأيدى لعدم قدرتها على الفرار وبين كباره التى تطيق الفرار فلايمكن صيدها الا بالرماح وذلك ليتميز من يخافه منكم بالغيب ممن لايخافه ، وبعد أن يبين جل شانه حرمة الصيد فى الحرم وأن ذلك ابتلاء منه تعالى بين أن من يجترىء على مخالفة أمر الله تعالى ويصطاد فى الحرم له عذاب أليم فقال «فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم» أى فمن تجاوز حد الله تعالى وتعرض للصيد فى الحرم بعد مابين الله أنه حرام فله عذاب أليم ، لأن التعرض للصيد فى الحرم بعد اعلام الله وانذاره لمكابرة محضة ، وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى ، وخروج عن طاعته ، وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية ، ومن كان كذلك فهو جدير بمقت الله تعالى وحلول عذابه الاليم به .

وبعد هذا وذاك فقد نص جل شانه على حرمة قتل الصيد فى حالة الاحرام ونهى عن تعاطيه فقال : «ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم» لافرق فى ذلك بين مايؤكل ولايستثنى من ذلك الا ماثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم «خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم : الغرابوالحداة والعقرب والفارة والكلب العقور» وألحق بعض العلماء بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد ، لأنهما أشد ضررا منه .

ثم بين جل شانه مايلزم مرتكب القتل من الفدية فقال : «ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما» يعنى أن من قصد قتل الصيد وهو محرم وقتله فعليه مثل من الحيوان الآنس كالنعامة مثلا والغزالة ، وبقرة الوحش ، ففى الاولى بدنة وفى الثانية

عنز ، وفى الثالثة بقرة أنسية ، وهكذا لوجود المثلية فى كل والمماثلة المعتبرة : المماثلة فى الخلقة لا فى القيمة ، أما اذا لم يكن مثليا فجزاؤه قيمته ، وقد بينت السنة أن العمد ليس بشرط بل المخطىء والناسى كذلك ، لأن القتل للصيد اتلاف ، والاتلاف مضمون فى العمد والنسيان والخطأ ، غير أن المتعمد ملوم والمخطىء غير ملوم والمثلية فى المثلى والقيمة فى غيره عدلان من المسلمين وبعد حكمهما به يفعل به مايفعل بالهدى من الارسال الى مكة وايصاله الى الحرم فيذبح هناك ويتصدق به على مساكينه وان تعسر عليه وجود مثله أو قيمته فعليه أن يطعم مساكين مايساوى قيمة الجزاء اكل مسكين فان لم يجد فعليه عدل ذلك صياما أى قدره أى فعليه أن يصوم عن اطعام كل مسكين يوما ، وقد حكم الله عليه بذلك «ليذوق وبال أمره» أى ليدرك مشقة سوء عاقبته بما انتهكه من حرمات الله تعالى واجترائه على الصيد بعد مانهى عنه وقوله تعالى: «عفا الله عما سلف» يعنى فى جاهليتكم من قتلكم للصيد فلم يؤاخذكم به «ومن عاد» أى منكم الى مانهى عنه من قتل الصيد مرة ثانية فينتقم الله منه فى الآخرة فيعذبه بذنبه «والله عزيز ذو انتقام» ممن عصاه وجاوز حدوده وخالف امره .



النصوص من السنة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا،

فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)) ثم قال : ((ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ، فاذا امرتكم بشىء فاتموا منه مااستطعتم ! واذا نهيتكم عن شىء فدعوه)) . رواه مسلم والنسائى والترمذى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الاقرع بن حابس رضى الله عنه قال : يارسول الله الحج فى كل سنة أو مرة واحدة ؟ قال : ((بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع)) رواه أبو داود والنسائى واحمد والحاكم وصححه . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((من اراد الحج فليتعجل)) رواه أبو داود واحمد وزاد ((فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة)) .

عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا)) وذلك لقول الله فى كتابه : ((ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :جاءت امراة من خثعم (اسم قبيلة) فقالت: يارسول الله ان فريضة الله على عباده الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لايثبت على الراحلة . افاحج عنه ؟ قال نعم . وذلك فى حجة الوداع . رواه الخمسة (البخارى ومسلم والترمذى وابو داود والنسائى) .

وعنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول : ((لايخلو رجل بامراة الا ومعها محرم ، ولاتسافر المراة الا مع محرم)) فقال رجل : يارسول الله ان امراتى خرجت حاجة . وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا قال : ((انطلق فحج مع امراتك)) رواه الاربعة .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : ((جاءت امراة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان امى ماتت ولم تحج افاحج عنها قال : نعم حجى عنها)) رواه الترمذى ومسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ((أن رجلا أتى النبى صلى اللهعليه وسلم فقال ان أبى مات وعليه حجة الاسلام ، أفاحج عنه ؟ فقـال : أرأيت لو أن أباك ترك دينا عليه اتقضيه عنه ؟ قال نعم : قال فاحجج عن أبيك)) رواه النسائى والشافعى .

وعنه قال : ((رفعت امرأة صبيا لها فقالت : يارسول الله آلهذا أحج قال : نعم ولك أجر)) . رواه مسلم والترمذى .

وقال السائب بن زيد : ((حججت وأبى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وانا ابن سبع سنين)) رواه الترمذى بسند صحيح .

وعن أبى أمامة التيمى رضى الله عنه قال : ((كنت رجلا أكرى فى هذا الوجه (أؤجر) وكان ناس يقولون : انه ليس لك حج ، فلقيت ابن عمر فسألته : فقال أليس تحرم وتلبى وتطـوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار ؟ فقلت بلى : قال فان لك حجا . وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فارسل اليه وقرأها عليه وقال : لك حج)) رواه أبو داود بسند صالح .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : ((أشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة من ذى الحجة)) رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال : ((يارسول اللهمايلبس المحرم من الثياب ؟ قال : لايلبس القميص ولا العمائم ولا السراويل ولا البرانس ولا الخفاف الا أحدلم يجد نعلين فليلبسن خفينوليقطعهما أسفل الكعبين ، ولاتلبسوا من الثياب شيئا مسه زعفران أو ورس)) (الورس كالورد نوع من الورود وهو نبات أصفر باليمن طيب الرائحة يصبغ به ، ولونه بين الصفرة والحمرة) وفى رواية ((من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد أزرارا فليلبس سراويل)) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((أهدى الصعب بن جثامة الى النبى صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو محرم فـــرده عليه وقال : لولا أنا محرمون لقبلناه منك)) وفى رواية أهدى له عضـــوا من لحم صيد فرده وقال : ((انا لانأكله انا حرم)) رواه الخمسة .

وعن حفصة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((خمس من الدواب لاحرج على من قتلهن : الغـراب ، والحـــدأة ، والفأرة ، والعقرب ، والكلب العقور ، وفى رواية (خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم : الحية والغراب الأبقع ، والفأرة ، والكلب العقور، والحدأة)) رواه الخمسة .

وعن ابان بن عثمان رضى الله عنهما قال : ((سمعت أبى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لاينكح المحرم ولاينكح ، ولايخطب)) رواه الخمسة الا البخارى .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟قال: ((ايمان بالله ورسوله)) قيل ثم ماذا ؟ قال ((الجهاد فى سبيل الله))،قيل ثم ماذا ؟ قال ((حج مبرور)) رواه البخارى ومسلم . وقال عليه الصلاة والسلام . ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) رواه البخارى ومسلم (والرفث هو الجماع) وقال صلى الله عليه وسلم (من جاء حاجا يريد وجه الله تعالى فقد غفر له) وقال فى فضل عرفة ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير)) رواه الترمذى .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((مامن يوم أفضل أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة)) .

كيف حج رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؟

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج فخرجنا معه حتى اذا أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس (وهى امرأة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما . ولدت له محمدا) فقال اغتسلى ـ واستشعرى بثوب (وهو جعله كشعر الدابة تشد على وسطها شيئا ثم تأخذ خرقة عريضة تشد طرفيها من ورائها وقدامها) واحرمى . وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصواء (لقب ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا استوت به على البيداء أهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك . لبيك لاشريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك حتى اذا أتينا البيت استلم الركن (الحجر الاسود) فرمل (أى هرول مسرعا فى نشاط وقوة) ثلاثا ومشى ورباعا ثم أتى مقام ابراهيم فصلى ، ثم الى الركن فاستلمه . ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا «ان الصفا والمروة من شعائر الله» «ابدأ بما بدأ الله به» وارتقى الصفا حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. فوحدالله وكبره وقال :« لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده . أنجز وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك ، وقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى اذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا (يوم التروية) (وهو الثامن من

ذي الحجة (سمي بذلك لأنهم يملئون قربهم لعرفة) وتوجهنا الى منى، وركب النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب والعشاء ، والفجر ومكث قليلا حتى طلعت الشمس فاجاز (أمر بالسير) حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة(موضع) فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له . فأتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن وأقام فصلى العصر والمغرب ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص ، ودفع ناقته ، وقد شنق(شد) للقصواء الزمام ، وهو يقول : السكينة السكينة (ويشير بيده اليمنى) وكلما أتى جبلا من الجبال أرخى لناقته قليلا حتى تصعد الى أن جاء المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ، ولم يصل بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حتى تبين له الصبح فاذن وأقامه ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعا ، وكبر ، وهلل فلم يزل واقفا حتى سفرت ، فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محسر (سمي بذلك لانه قيل ان الفيل حسر فيه أى حسي) فتحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج الى الحجر حتى أتى الحجر ، فرمى بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة وهي قدر حصى الحذف ، وركب فافاض الى البيت ، فصلى بمكة الظهر) رواه مسلم مطولا .

ابتداء الرحلة الى الحج

والاستعداد للسفر : يوجب أن يأخذ الحاج من الملبوسات واللوازم مايحتاج اليه مع اتمام الاجراءات للسفر وذلك .

أولا ــ من عزم على أداء فريضة الحج يجب أن يتقدم الى مأمور المركز أو القسم الذى يقطن فى دائرة اختصاصه ليستطيع أن يقيد اسمه ضمن الذين يريدون أداء فريضة الحج . وبذلك يسهل له أمر السفر برا وبحرا وجوا ، فيكتب طلبا بذلك متعهدا بدفع الرسوم المطلوبة ، ذاكرا نوع الدرجة التى يسافر بها (الاولى أو الثانية أو الثالثة) وتوجد استمارات تملأ لهذا الفرض ، وبعد دفع الرسوم يتوجه الحاج الى مكتب الصحة التابع لها لعمل الحقن اللازمة والتطعيم قبل السفر .

ويأخذ المعدات الآتية :

١ ــ نظارة باغة تحمى العينين من أشعة الشمس والغبار ، وروائح عطرية تستعمل فى غير أوقات الاحرام وفرش : نوع يحتوى على سجادة وبطانية ووسادة على حسب القدرة وكذلك ناموسية خفيفة لاتقاء البعوض وشنطة جلد كبيرة أو خرج سفر توضع لوازمه فيه ، وأهمها مايأتى :

جلبابان أو بيجامتان صيفيتان . ملابس داخلية لتغييرتين أو ثلاث . بشكيران للاحرام كازار ورداء . كمر جلد ذو جيوب لحفظ النقود والمفاتيح . فوطة وصابونة وأبريق زنك وفرشاة للاسنان أو مسواك . اسعافات ضرورية طبية واسبرين كملينات مثلا وفينيك . بطارية كهربائية صغيرة باليد . فرش النوم يكون مؤلفا من سجادة وبطانية على حسب المقدرة كما تقدم . شنطة جلد صغيرة لوضع النقود والمصحف والاوراق حين الاحرام . شمسية لاتقاء حرارة الجو تكون من قماش أبيض ثقيل . بالطو او عباءة .

ملحوظة : يجب الا تكثر من حمل الامتعة والملابس ولاتكلف نفسك بحمل الفواكه والخبز والسجاير ، ولاتاخذ الا الضرورى من

الادوية فهناك كل مايلزمك . فاذا تيسر لك ذلك كله فسافر على بركة الله لأداء هذه الفريضة .

واذا وصلت الى ميقات الاحرام فاحرم وهو ميناء رابغ عند المصريين وهنا تطلق السفينة صفارتها ايذانا بالاحرام . فاحرم بنية الحج أو العمرة ان شئت أو هما معا قائلا اللهم انى نويت الاحرام لحج بيتك المعظم فيسره لى وتقبله منى ، وابدأ بالاغتسال وتقليم الاظافر وحلق ماشعث تحت البطن ((العانة)) وتسريح الشعر ، وصلاة ركعتين تنوى بهما سنة الاحرام .

ثم تركب الى جدة ، وجدة ميناء مكة المكرمة . وثغر الحجاز . وبها مفوضيات ، ودور للتمثيل السياسى والتجارى بالمملكة العربية السعودية وجمركها أوسع الجمارك السعودية وأحسنها وترد اليه أكثر البضائع التى ترد للحجاز على اختلاف أصنافها .

وهى مركز التنقلات بين أنحاء القطر الحجازى . وأغلب الحجاج اليها يأتون . ومنها يذهبون الى مكة المكرمة أو المدينة المنورة . وقد أنشئت فيها فنادق من الطراز الاول بها جميع حاجيات الحاج ولوازمه على اختلاف فى الاجور حسب رغبة الحاج . وبجدة لكل مطوف بمكة المكرمة وكيل عنه يقوم بخدمة الحجاج أثناء وجودهم بها ولهم نقابة تجمعهم ورئيس مسئول عنهم .

ومعظم الاهالى يشتغلون بالاعمال المالية . وبيدهم أكثر حركة التجارة وتصريف البضائع على اختلافها .

ستجد أول ماتنزل على رصيف الميناء هيئة مراقبة شئون الحجاج ثم هيئة الوكلاء مع نقيبهم وهو الذى يتولى سؤالك عن اسم المطوف الذى ترغبه ، فأجبه اجابة واضحة . وهنالك تجد وكيل المطوف حاضرا منفذا لرغبتك فتوجه معه الى حيث تريد ثم استرح . وعليه

احضار امتعتك وتخليصها من الجمرك ثم احضار المركب الذى ترغبه اما الى المدينة المنورة أو الى مكة المكرمة سواء كان جملا أو سيارة صغيرة أو كبيرة وذلك بعد أن تدفع الاجرة المقررة .

تعليمات

مكان الامارة بحارة الشام عند باب جديد ومكان الشرطة بحارة الشام على ناصية البحر ومكان الصحة بحارة اليمن قرب باب شريف ومكان الشركة العربية للسيارات بالشارع الفيصلى .

الرحيل من جدة

بانتهاء جميع الاعمال بجدة واحضار مركبك الذى تريده تركب سيارتك على بركة الله الى مكة المكرمة وبعد نصف ساعة من رحيلك تجد محطة (أم السلم) وهى أول مركز بين جدة ومكة ، فيها البناء الذى يقيم فيه الموظف الحكومى المختص بالتفتيش على السيارات وفيها عدة مقاه وتليفون للمحادثات الضرورية ، وبعدها بقليل تجد :

محطة (بحرة) وهى فى مكان متسع كقرية صغيرة يخترقها شارع كبير تمر منه السيارات وغيرها ، وبيوتها من اللبن ، وفيها فندق ومركز للصحة وآخر للشرطة وتليفون ، وبها كثير من المطاعم والمقاهى وبعد الخروج منها تمر بمحطة .

(الشميسى) وهى مكان الحديبية وبها مسجد بيعة الرضوان ، وهى فى فضاء متسع لا بناء فيه الا قليلا يسكنه المفتش الخاص بالسيارات وتليفون ومقهى وفندق .

وبعد ذلك بكيلومترين تقريبا تبتدىء أرض الحرام التى لايحل صيدها ولا قلع شجرها فتنبه (وتعرف ذلك بالعلمين العظيمين من البناء المخصص لذلك) وعندهماتجد مقهى لمن أراد الغسل أو التوضؤ ، فاكثر هناك من التلبية والدعاء وبعد ثلثى ساعة تقريبا تصل الى مكة المكرمة اشرف بقاع الارض ومهبط الوحى الالهى ومبعث الرسالة المحمدية النبوية الشريفة فادع الله تعالى وابتهل اليه ، ولب مااستطعت .

خطوات الحج من بدايته الى نهايته

اولا – تبدابالتوبة وردالمظالم الى اهلها ، واقض ماعليك من الديون واترك لاهلك النقود الكافية واستصحب المال الحلال والتمس رفيقا صالحا ، وتوسع فى الزاد وودع اهلك وجيرانك والتمس دعواتهم وكن طيب النفس ، وصل ركعتين قبل خروجك من الدار وادع الله تعالى

بالتوفيق والرجوع سالما ، واعلم أن الميقات الكافى للاحرام هو رابغ أول الجحفة للمصريين .

ثانيا ـ عند الاحرام ازل الشعر المطلوب وقلم الاظافر ومس الطيب واغتسل ثم البس ملابس الاحرام وصل ركعتين ثم انو الحج او الحج والعمرة ولب عقب كل صلاة وكلما تصعد أو تنزل أو تقابل رفقاء جاهر بالتلبية مع التوسط فى تكرارها ورفع الصوت بها .ومن ابتغاء احرامك اجتنب محظورات الاحرام كلبس المخيط ومس الطيب وصيد الحيوان والطيور ، وأيضا الجماع وقطع نبات الحرم . واحرام المراة فى وجهها وكفيها وفى التلبية لاتسمع الا نفسها ولاتكشف شيئا من جسمها وماعدا ذلك كله عورة .

ولايجب على المراة أن تسافر الا بوجود محرم أو زوج اذا كان بينها وبين مكة مسيرة ثلاثة أيام وذلك مسافة القصر .

ثالثا ـ اغتسل قبل دخول مكة وبادر بالذهاب الى المسجد الحرام داخلا من باب السلام للطواف ، ولتكن على طهارة . ساترا عورتك ودر وانت تدعو حول الكعبة بنية الطواف سبعا تبدأ بالحجر الاســود وتستلم او تشير اليه في كل شوط وتسرع في الثلاثة الاشواط الاولى واستلم الركن أو اشر اليه . واختتم الطواف باستلام الحجر الاسود وباتيان المقام (مقام ابراهيم) وادع بما تحب ثم صل ركعتين عند مقام سيدنا ابراهيم ثم اشرب ماء زمزم وعد فالمس الحجر الاسود لتستلمه او تشر اليه ثم اخرج من باب الصفا للسعى .

ولا تدخل الحائض ولا النفساء المسجد ولاتطوفان حتى تطهرا

ـ رابعا ـ اصعد على الصفا وأنت طاهر من الحدثين واستقبل البيت ثم ارحل الى المروة وانت تعدو فى مشيك بين الميلين الاخضرين ثم اصعد المروة وارجع الى الصفا وهكذا سبع مرات بحسب الذهاب مرة والعودة مرة أخرى وأثناء ذلك تهلل وتكبر وتدعو الله وصل على النبى عليه السلام ثم احلق أو قصر اذا كنت متمتعا والا فابق على احرامك الى مابعد تادية اعمال الحج .

خامسا ـ بعد صلاة فجر اليوم الثامن من ذى الحجة اخرج من مكة وانت محرم وان كنت معتمرا وتحللت من احرامك فاحرم كالاحرام السابق بيانه من نية وغسل وصلاة وتلبية وطواف وسعى وتجنب محظورات الاحرام واذهب وانت داعيا متهللا الى منى لتقيم بها خمسة أوقات حتى فجر اليوم التاسع . وبعد صلاة فجر اليوم التاسع توجه الى عرفات وصل فى مسجد نمرة الظهر والعصر جمع تقديم ثم توجه الى جبل الرحمة وادع بما تحب واقم بعرفة الى غروب الشمس .

سادسا ـ ائت المزدلفة وصل بها المغرب والعشاء جمع تاخير وامض ليلتها عند المشعر الحرام حتى صلاة الفجر واجمع منها الحصى المطلوب سبعين حصاة او تسعا واربعين .

مكة المكرمة

واعلم أنها عاصمة المملكة العربية السعودية وقبلة الامم الاسلامية بها البيت العتيق (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) وهى عبارة عن وديان متصلة ومتجاورة يقطع السائر على قدميه طولها من الشرق الى الغرب فى ساعة أو تزيد قليلا . وأكثر مبانيها على سفوح الجبال وقممها تحف بوديانها المتجاورة وهى مرتفعة ارتفاعا شاهقا كما بها بعض البيوت الصغيرة المبنية من الصفيح والاخشاب وتسمى (بالصنادق) وبعضها أكواخ مبنية من القش فقط ، وهى شديدة الحرارة فى الصيف ، معتدلة الجو فى الشتاء والربيع ولذلك كان الحج فى هذه

السنوات من أعظم منن الله تعالى على عباده فليقتنص الفرصة من وفقه الله لاداء الفريضة المقدسة (١)

عرفة

وعرفة مكان فسيح الارجاء متسع الجوانب لا بناء فيه غير مسجد نمرة وتمر فيه مجرى عين زبيدة ومنها يستقى الحجيج وكانت السقيا فيه أولا بواسطة البرك الكبيرة ، اما الآن فقد أحدثت الحكومة فيها صنابير للمياه لحفظ الماء من التلوث وحرصا على راحة الحجاج (٢).

---

(١) تنقسم مكة الى اربعة عشر قسما (حارة أو محلة) وبكل محلة مركز للشرطة وآخر للصحة والاسعاف . وهى مقر النائب العام لجلالة الملك فيصل ومقر الشرطة العامة ومكانه (الحميدية) أمام الحرم الشريف ، والاسعاف ومكانه عند باب ابراهيم ، والصحة العامة وهى فى شارع أجياد .

وبها كثير من المستشفيات والمستوصفات المتعددة وفيها أربعا فنادق كبيرة مختلفة الاجور مع توافر الراحة والرفاهية .

وهى مقر المطوفين جميعا والوزارات وجميع الدوائر الحكومية السعودية .

(٢) مكان وقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كان أمام جبل صغير على يسار الداخل الى عرفات يسمى الرحمة (جبل المشاة) وعليه علامة من البناء مجصصة .

المزدلفة

هى فضاء فسيح لابناء فيه غير المشعر الحرام ، وهو عبارة عن مسجد عظيم مرتفع عن الارض مسور بسور حجرى صغير لاسقف له وفى وسطه مئذنة فخمة بيضاء تنار بالانوار الساطعة أيام الموسم فقط .

ومن السنة أيضا ومن الواجب عند بعض الائمة المبيت بها تلك الليلة بعد أن تصلى بعد وصولك اليها المغرب والعشاء جمع تاخير ، وذكر الله تعالى في تلك الليلة من الواجبات (١) .

---

(١) اذا غربت الشمس أفض من عرفات بخشية ورهبة حتى تصل الى المزدلفة فاذا أصبحت فصل الفجر ثم اذكر الله عند المشعر الحرام وادعه بالتوفيق والهداية وبما شئت ، والتقط حصى الجمار وعدده (٧٠) لمن أراد الاقامة بمنى أربعة أيام أو (٤٩) لمن أراد الاقامة ثلاثة أيام فقط وهو حصى على هيئة الخزف أكبر من الحمصة مستدير قليلا وهو كثير فى أرض مزدلفة . واذا لم تستطع فاكتف بالتقاط سبع لقط لجمرة العقبة الكبرى أول يوم والتقط الباقى من أى مكان تريد ماعدا أحواض الجمرات . ولاتنس أن تكبر الله تعالى كثيرا من حيث خروجك من عرفات وتلبى وتجمع منها حتى تصل الى جمرة العقبة الكبرى .

منى

اذا انتهيت من التقاط الحصى فارجع الى منى ، وهى قرية متسعة تحوى واديا بين جبلين عظيمين وبها اربعة طرق (شوارع) خصص كل طريق منها لصنف من السابلة حتى يخف ضغط الزحام ، وبين هذه الطرق دور قائمة يسكنها الحجاج فى أيام الموسم فقط وتبقى خالية طول العام وتنساب هذه الطرق من اول منى تجاه مكة حتى تجتمع جميعها فى سوق عظيم يمتلىء بالخيام التى تحوى معظم الحجاج ، والى يمين هذا السوق قصر فخم امامه ايوان اعد ليستقبل جلالة الملك فيصل ضيوفه فيه وقد اعتاد عظماء الحجاج وامراؤهم التشرف بمقابلته صباح اليوم الثانى من ايام منى (١)

---

(١) بمنى خزانات عظيمة لخزن المياه يستقى منها الحجاج كمابها خزان تصب فيه مياه عين زبيدة باستمرار بواسطة الآلات الرافعة للمياه من مجرى العين الى هذا الخزان ، كما أن جميع الخزانات تملأ بواسطتها أيضا بأنابيب معدة لذلك قبل الحج بأيام قليلة بعد أن تنظف وتطهر تطهيرا تاما .

وبمنى مسجد الخيف وهو مسجد عظيم البناء له رحبة واسعة وفى وسطها قبة شامخة وعلى يمين الداخل من الباب الكبير قسم كبير مسقوف وفى وسطه محراب وبجواره منبر مبنى صغير . وللمسجد بابان ومئذنة وفيه صهريج كبير له عدة فتحات لأخذ المياه منه .

أيام التشريق

وهى الايام الثلاثة التى تلى يوم العيد الاكبر ، وهى الايام المعدودات التى وردت فى القرآن الكريم (واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى (١)) .

= وفى منى مراكز للاسعاف والصحة والبوليس ، كما بها أسواق متعددة تحتوى على كل ما تريد .

اذا وصلت منى فاذهب الى جمرة العقبة الكبرى فارمها بسبع حصيات مما معك وكبرعند أول حصاة واقطع التلبية ثم كبرمااستطعت طول أيام التشريق ثم اذبح ثم احلق . ولاترتيب بين هذه الافعال الثلاثة فما استطعت أن تعمله أولا فابدأ به بدون حرج واذا أشكل عليك شيء فراجع أهل العلم حتى لا تقع فى الخطأ .

واذا انتهيت من ذلك فقد تحللت التحلل الاول وبذا تستطيع لبس ملابسك ، ويحل لك كل شيء ماعداالنساء . ومن الكمال فى السنة ان تذهب الى مكة « فى اليوم نفسه » لتطوف طواف الافاضة وهو ركن من أركان الحج كالوقوف بعرفة . وتسعى بين الصفا والمروة وبعد هذا الطواف يحل لك كل شيء حتى النساء ثم ارجع الى منى لتبيت بها .

(١) فى أول هذه الايام وهو ثانى أيام منى يجب رمى الجمار الثلاث : الصغرى والوسطى والكبرى ــ كل جمرة بسبع حصيات، تبدأ بالصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى وتكبر مع كل حصاة فاذا انتهيت =

المواقيت الزمانية والمكانية للحج

المواقيت الزمانية

المواقيت الزمانية لمن يريد الحج فقط او الحج والعمرة معا: هى ثلاثة اشهر فقط من السنة وهذه الاشهر الثلاثة هى شوال وذو القعدة وذو الحجة .ولايجوز فى غير هذه الاشهر الزمنية من أشهر السنة حج. لان الحج وعمله خاص فى هذه الاشهر الثلاثة فقط بخلاف العمرة .

اما المواقيت الزمانية لعمل العمرة فقط فجميع أيام السنة.وافضل هذه الايام شهر رمضان المبارك ، فالعمرة ليس لها زمن محدود كالحج الذى تكلمنا عنه.وتجوز العمرة أيضاً في أيام الحج وهذا معلوم بداهة.

= منها يجب أن تبيت بمنى تلك الليلة أيضا ، ويبتدىء وقت الرمى فى هذا اليوم من بعد الزوال .

فاذا جاء اليوم الثانى فعلت فيه مثل ما فعلت فى اليوم السابق ولك أن تتعجل وترجع الى مكة قبل الغروب ، كما لك أن تبيت بمنى وترمي جمار اليوم الثالث ولو صباحا ثم ترجع الى مكة .

المواقيت المكانية

الميقات المكانى : هو المكان الذى يحرم منه الحاج: للحج اوللعمرة أو هما معا ، فميقات أهل مصر والشام الآن «الجحفة أو رابغ» وميقات أهل اليمن « يلملم » ومقيات أهل العراق ذات عرق ، وميقات أهل المدينة « ذو الحليفة » وميقات أهل نجد « قرن المنازل » وميقات أهل مكة للحاج من منزله الذى يسكنه . أما اذا كان الاحرام للعمرة فميقاتها « التنعيم » .

كيفية الاحرام :

ان يتجرد الرجل من مخيط الثياب ، ويلبس ازارا معه رداء ان تيسر له ذلك اما المراة فتلبس ملابسها وتكشف وجهها ان لم تخش الفتنة ثم تلبى قائلا أو قائلة :

التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

ولاتزال تكرر التلبية من وقت الى آخر حتى تدخل مكة .

دخول مكة والطواف

يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان بذات طوى وهو موضع عند الآبار التى يقال لها آبار الزهر فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة. والافضل دخول مكة نهارا وان يقصد المسجد الحرام فورا .والافضل أن يدخل من باب بنى شيبة (باب السلام) وروى فى حديث ضعيف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا رأى البيت (أى الكعبة المعظمة) اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ، ومن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا .. روى أن عمر رضى الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام .

واعلم ان ما يذكر فى المناسك من الدعاء والثناء وما يلقنه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم ومنه ماهو من اقوال الصحابة وغيرهم .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه فى النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك. فعلم من ذلك أنه لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك شىء ولم يمنع منه . والشعائر لاتثبت الا بنص الشارع . والظاهر أن الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثنى بما يلهمه الله ويخضع له قلبه ويحسن أن يصلى الحاج بعد الطواف ركعتين .

طواف القدوم :

الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف الأول ، وللحاج او المعتمر طواف يسمى طواف القدوم . وهو واجب عند المالكية وسنة عند الأئمة الثلاثة .

شروط الطواف :

تراعى فى الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة ، لما رواه الترمذى والشافعى من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبى صلى اللهعليه وسلم «الطواف بالبيت مثل الصلاة، الا انكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير» ووردت آثار فى النهى عن كثرة الكلام فى الطواف اى وان كان بخير لم تمس اليـه الحاجة ، لانه يشغل القلب عن الخشوع فى هذه العبادة .

الحائض والنفساء :

ولما كانت الطهارة شرطالصحة الطوافامتنع الطواف علىالحائض والنفساء فهما تؤديان جميع اعمال الحج سواه .

كيفية الطواف :

يبدأ الانسان من الحجر الاسود ، فيستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غيرايذاء لنفسه أو ايذاء أحد من مزاحميه،والااكتفىباستلامه

بيدا (أى مسحة بها) وتقبيلها فان لم يمكن اشار اليه بيده . ثم يشرع فى الطواف فيجعل البيت عن يساره ليطوف سبعة اشواط اى مرات ويستلم من الاركان الركنين اليمانيين لأنهما على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام دون الشاميين لانهما في داخل البيت .

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذى فيه الحجر الاسود منهما الركن الاسود اذا ذكر وحده ، واذا ذكر الآخر وحده قبل الركن اليمانى. والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قبل الركن الشامى وهو المقابل لبلاد الشام والركن العراقى وهو المقابل لبلاد العراق وانما يقال فى تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التغليب .

أنواع الطواف :

ان في الحج ثلاثة أطواف :

١ ـ طواف القدوم الذى ذكرناه .

٢ ـ طواف الافاضة، وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد الوقوف بعرفه .

٣ ـ طواف الوداع : وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند المالكية ووقته قبل مغادرة مكة : وللحاج أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع .

أدعية مأثورة تقال عند دخول مكة والحرم :

اذا دخلت مكة فقل اللهم ان هذا الحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك . انى جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة راجيا أن تستقبلنى

بمحض عفوك وكرمك ، وان تحرم جسدى على النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعند دخول الحرم :

اذا جئت الى الحرم فادخل من باب السلام قائلا : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا بالسلام وادخلنا الجنة دار السلام بفضلك ياذا الجلال والاكرام . ثم سر نحو البيت من جهة الشرق قائلا : اللهم ان هذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك . اللهم حرم جسمى على النار . فاذا وقع بصرك على الكعبة فقل بسم الله والله اكبر (ثلاثا) لا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وادخل من باب بنى شيبة (باب السلام) قائلا : ((رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا)) . فاذا اتيت الحجر الاسود فاستقبله وقل بسم الله الله اكبر ولله الحمد . اللهم اغفرلى ذنبى وطهر لى قلبى واشرح لى صدرى وعافنى برحمتك فيمن تعافي . ثم استلمه بيمينك وقبله (ان امكنك) او أشر عليه بيمينك وانو الطواف قائلا : اللهم انى نويت طواف بيتك المعظم سبعة اشواط لوجهك الكريم ، اللهم يسرها لى وتقبلها منى . ثم نطلق في طوفك قائلا :

دعاء الشوط الأول :

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة

الا بالله العلى العظيم • اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار . ويقول بين الركنين اليمانيين في كل شوط : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار .

دعاء الشوط الثانى :

اللهم ان هذا البيت بيتك والحرم حرمك والامن امنك والعبد عبدك وانا عبدك وابن عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار فحرم لحومنا وبشرتنا على النار اللهم حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم أدخلنى الجنة بغير حساب .

دعاء الشوط الثالث :

اللهم انى اسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة اللهم أظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ، واسقنى من كأس نبيك محمد (صلى الله عليه وسلم) شربة هنيئة لا أظما بعدها ابداً .

دعاء الشوط الرابع .

اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا وتجارة لن تبور ياعالم مافى الصدور أخرجنى يا الله من الظلمات

الى النور اللهم انى اسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامةمن كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار.رب اقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما اعطيتنى واخلفنى فى كل غائبة لمنك بخير .

دعاء الشوط الخامس :

اللهم اظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ولا باقى الا وجهك اللهم انى أسألك من خير ما سالك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسألك الجنة ونعيمها وما يقربنى اليها من قول أو عمل . وأعوذ بك من النار وما يقربنى اليها من قول أو عمل .

دعاء الشوط السادس :

اللهم ان لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك ، وحقوقا كثيرة فيما بينى وبين خلقك اللهم ما كان لك فاغفره لى وما كان لخلقك فتحمله عنى واغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك يا واسع المغفرة .. اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وانت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعف عنى .

دعاء الشوط السابع :

اللهم انى اسالك ايمانا كاملا ويقينا حقا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وحلالا طيبا وتوبة نصوحا وتوبة قبل الموت وراحة

عند الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك ياعزيز ياغفار رب زدنى علما والحقنى بالصالحين .

وكلما قربت من الحجر الاسود قل : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، فاذا حاذيته فقل مستلما ان امكنك أو مشيرا عليه بيمينك من بعد .

بسم الله والله اكبر ثم ادع بما تشاء من الادعية السابعة او بما يحضرك من غيرها والا فحسبك الذكر والتوحيد والاستغفار ويجمعهما قولك ، سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم . ويحسن الاضطباع فى طواف القدوم وهو اخراج الذراع اليمنى فوق الرداء الذى تشتمل به وكذلك يحسن فيه الرمل (أى الجرى بخطوات سريعة) اشارة الى أن الجسم ممتلىء بالقوة والشهامة ولم تؤثر فيه عوامل مشقة السفر في سبيل الله .وبعد طوافك سبعة أشواط على هذا النظام توجه خلف مقام ابراهيم وصل ركعتين سنة الطواف . ثم قل : اللهم انك دعوت عبادك الى بيتك الحرام وقد جئت طائعا لامرك فاغفر لى وارحمنى اللهم اغفر لى ولوالدى ــ وارحمهما كما ربيانى صغيرا . اللهم اغفر لى ولجميع المؤمنين والمؤمنات . ثم اقصد الملتزم والصق به صدرك وافرد ذراعيك عليه وادع بالدعاء الآتى : اللهم يارب البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا واخواتنا واولادنا من النار ياذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والاحسان .اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم انى عبدك وابن عبدك واقف في رحابك ملتزم باعتابك متذلل بين يديك ارجو رحمتك وأخشى عذابك ياقوى الاحسان . اللهم انى أسالك أن ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح امرى وتطهر قلبى وتنور لى في قبرى وتغفر لى ذنبى واسألك الدرجات العلى من الجنة آمين . ثم اذهب الى بئر زمزم واشرب منها هنيئا مريئا ثم توجه الى السعى .

السعي بين الصفا والمروة

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ، وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف ، وعند المالكية يجب ذلك وليس بشرط . ووجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف ، وقال الجمهور انه سنة لا واجب . ويطلق على السعي اسم الطواف والتطوف كما ثبت فى القرآن والاحاديث . واختار الفقهاء اسم السعي للتفرقة بينه وبين الطواف بالبيت .

كيف تسعى ؟ : وكيفيته ان يبدأ بالصفا فيصعد اليه ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى المسعى ليكون مستقبلا للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا فهذه مرة . ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى ان يتم سبعة أشواط يرمل فى ثلاثة منها بين الميلين الاخضرين وهما عمودان في جدار الحرم . والرمل سرعة في السعي ولا يشترط في السعي مايشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب . ويجوز السعي راكبا وماشيا والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ : (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال : « ابدأ بما بدأ الله به » وفى حديث عن النسائى « ابدءوا بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو

على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة .. الحديث : وفيه انه فعل فى المروة كما فعل فى الصفا فينبغى ان يحفظ الحاج هذا وان يدعو الساعى بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه واهله واخوانه وامته .

ومن الادعية المأثورة للسعى بين الصفا والمروة : لا اله الا الله وحده لا شريك له · له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون اللهم انى اعوذ بك من عضال الداء وخيبة الرجاء وشماتة الاعداء وزوال النعمة ونزول النقمة.وتهرول بين الميلين الاخضرين وهما عمودان مبنيان من جدار الحرم واحد بجوار القبلة والآخر بجوار باب على .والمسافة بينهما (سبعون مترا)قائلا : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم · ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا عزيز يا غفار يا ارحم الراحمين ·

وله ان يرمى فى يومين لقوله تعـالى (واذكـروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى) .

ويكون رمى الجمار بعد الزوال وان يبدا بالأولى · وان يكبر مع كل حصاة ويدعو فيطيل الدعاء . واذ قال فى دعائه . اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا ، فهو احسن .

طواف الوداع

تقدم حكمه · وينبغى ان يكون هذا الطواف آخر عهد الحجاج بمكة ليكون مسك الختام ·

محرمات الاحرام

يحرم على المحرم لبس المخيط وتغطية الراس وازالة شعره بنتف او حلق فان فعل شيئا من ذلك متعمدا او ناسيا فعليه الفدية بذبح شاة) الا اذا كان الشعر الذى أزيل منه يسيرا فعليه ان يتصدق بحفنة من بر ويحرم عليه أيضا تقليم اظافره وعليه الفدية ان فعل الا اذا كان ظفرا او ظفرين فعليه أن يتصدق بمد او مدين ويحرم عليه الطيب فى بدنه او ثوبه أو فراشه او أكله وشربه . ويجب عليه به الفدية ويحرم عليه صيد الحيوان أو قتله أو تنفيره أو ازعاجه كما يحرم قطع حشيش الحرم وشجره وعليه به دم . ويحرم عليه الجماع وبه يفسد الحج .

واذا فات الحاج شيئا من أركان الحج او العمرة أو شروطهما . سهوا او عمدا بطل حجه وعمرته .وان فاته شيء من الواجبات وجب عليه دم لكل واجب تركه وذلك بان يذبح شاة فى الحرم . فان عجز عن الذبح صام ثلاثة أيام في الحج من وقت احرامه الى يوم النحر وسبعة اذا رجع الى بلده . هذا اذا كان ترك شيئا منها قبل الوقوف بعرفة أما ان تركه بعده فله صوم عشرة أيام بعد عودته الى وطنه وان فاته شيء من السنن أو المندوبات فعليه ان يتصدق . ثم ادع الله بما شئت . ثم اذا كنت متمتعا (محرما بالعمرة) حلقت أو قصرت بعد سبعة اشواط وتحللت وفككت احرامك حتى اذا كان يوم التروية (اليوم الذى قبل يوم عرفة) احرمت للحج أما اذا كنت قارنا أعنى محرما بالحج والعمرة معا) أو مفردا (محرما بالحج فقط) بقيت باحرامك في مكة الى يوم التروية ثم تتوجه الى عرفة .

الوقوف بعرفة

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية اى اليوم الثامن من ذى الحجة (وهو الذى قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام يوم العرفة ويسمون يوم عرفة بيوم الوقفة) محرمين : أما من كان متمتعا فانه يحرم فى ذلك اليوم كاحرامه من الميقات. والسنة أن يحرم كل واحد من المكان الذى هو نازل فيه وله ان يحرم من خارج مكة ان كان غير مكى فان المكى انما يحرم من أهله • والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم. وان يسيروا منها الى نمرة من موضع (ضب) عن يمين الطريق وهو موضع فى حدود عرفة فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسيروا منها الى بطن الوادى وهو الذى صلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والعصر قصرًا وخطب . فيصليها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام • وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بنى فى اول دولة بنى العباس • ثم يذهبون الى عرفات والعدول عن هذه الطريق الى طريق المأزم ودخول عرفة قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ولكن لايجب به شىء لانه ليس تركا لشىء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بير العلمين او من جانبهما ويجتهد الحاج فى الذكر والدعاء فى هذه العشية فهو افضل الاوقات وارجاها للمغفرة والرحمة . ولم يعين النبى صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرا فيجتهد كل انسان فى ذلك بقدر معرفته فيهلل ويكبر ويدعو بما شا الله لله من الأدعية الشرعية ويحسن الغسل يوم عرفة ولايحسن الصعود الى الجبل الذى هناك ويسمى جبل الرحمة

ولادخول القبة التى فوقه ويقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها ،والسنة أن يفيضوا من عرفاتعند الخروج على طريق المازمين فانالنبى صلىالله عليه وسلم خرج منها على هذا الطريق لانه دخلها عن طريق ضب فسنته فى المناسك كسنته فى الاعمال والمواسم اذا جاء من طريق رجع من اخرى كما كان يدخل المسجد من باب بنى شيبة ويخرج من بابالوداع ضرورة . ويكفى الوقوف بعرفة لحظة من اليوم التاسع وليلة العاشر ولو فاتك الوقوف فقد فاتك الحج من عامك فتحلل بعمرة وعليـــك قضاؤه فى العام القادم ، ولو كان حجك نفلا ويحسن الجمع وتقديم العصر مع الظهر مع الامام بعرفة .

فاذا أفاض الامام أو نائبه من عرفة فانفر معه الى المزدلفة وان كنت مالكيا فحسبك من اقامتك بها مقدار ما تجمع فيه جمـارك وهى تسـع واربعون حصوة،فى حجم الفولة تقريبا.وان كنت شافعيا فحسبكالاقامة فيها جزءا من نصف الليل الثانى.وان كنت حنفيا فبت بها وانزل بعد صلاة الصبح الى منى وارم جمرة العقبة بسبع حصيات تقول فى اثنائها بسم الله والله أكبر رجما للشيطان وحزبه ، اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك وخليلك عليهما الصلاة والسلام ثم اذبح ان كان عليك هدى ثم احلق أو قصر وقل الحمد لله الذى قضى على نسكى اللهم زدنى ايمانا ويقينا وهنالك يحل لك ما حرم عليك فى الآحرام الا النساء والطيب وفى اليوم الثانى جمرة العقبة ثم ارم الجمرة الثانية ثم الثالثة بسبع حصيات فى كل جمرة وكذلك تفعل فى اليوم الثالث ثم انزل الى مكة ومن الناس من ينزل في عاشر ذى الحجة الى مكة . فيطوف الحاج طواف الافاضة ويسعى ان كان عليه سعى ويعود من يومه الى منى وينزلمنها الى مكة بعد زوال اليوم الثالث عشر .

وبهذا ينتهى الحج

المبيت بمزدلفة ورمى الجمار

يحسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهى المشعر الحرام الذى قال الله فيــه « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عنـــد المشعر الحرام » والوقوف عند جبل قزح افضل ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا اتوا منى رموا جمرة العقبة بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمى ان يستقبــل الجمرة بحيث يكون البيت على يساره ومنى على يمينه ويرفع يديه بالرمى ويكبر مع كل حصاة وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى المزدلفة ومن مزدلفة الى منى ولم يصح فى السنة التلبية فى عرفة ولا المزدلفة ، فاذا اسرع فى رمى الجمرة استبدل التكبير بالتلبية اى جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج لانه حينئذ يشرع فى التحلل الذى تنتهى به المناسك ومتى رمى جمرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى وكل ما سيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدى بالاتفاق . ويســـمى اضحية ايضا . واما ما يذبح يوم النحر فى الحل ضحية وليس بهدى. واما ما يشترى فى منى او غيرها من ارض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدى عند المالكية وعند الائمة الثلاثة يسمى هديا ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها . باسم الله والله اكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

الحلق والتقصير :

بعد رمي جمرة العقبة يحلق الرجل شعر راسه او يقصره بأن يقص من رأسه مقدار الأنملة أو اقل او اكثر وتقص المرأة ولا تحلق ولاتزيد على قدر الأنملة والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لايتم الا به في مذهب الشافعي وعند الجمهور واجب لا ركن • وبالحلق والتقصير يكون التحلل الاول من الاحرام يحل به للمحرم ما كان محرما عليه في الاحرام الا النساء •

وبعد هذا ياتى الحاج بمكة فيطوف طواف الافاضة كما تقدم • فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء •

ثم يرجع الى منى فيرمى بقية الجمرات . والأفضل ان يرميهافى أيام التشريق الثلاثة .

***

النصوص من المذاهب الاربعة باختصار

من مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه

فروض الحج اثنان :

الاول : الوقوف بعرفات من زوال يوم التاسع الى فجر يوم النحر ولو لحظة بشرط الاحرام وعدم الجماع قبله .

والثانى : اكثر طواف الافاضة بعد طلوع فجر يوم النحر .

وواجباته : انشاء الاحرام من الصفا ، ومد الوقوف بعرفات الى الغروب والوقوف بمزدلفة فيما بعد فجر النحر وقبل طلوع الشمس ، ورمى الجمار وذبح القارن وهو من جمع الحج والعمرة في احرام واحد والمتمتع وهو من أحرم بالعمرة فقط من الميقات ثم أحرم يوم التروية من الحرم والحلق وايام النحر وتقديم الرمى على الحلق ونحر القارن والمتمتع بينهما وطواف الزيارة فى أيام الوداع وبداءة كل طواف بالبيت من الحجر الاسود والتيامن فيه والمشي فيه لمن لا عذر له والطهارة من الحدثين وستر العورة . واقل الأشواط بعد فضل الاكثر من طواف الزيارة ، وترك المحظورات : كلبس الرجل المخيط وستر رأسه ووجهه وستر المراة وجهها والرفث والفسق والجدال وقتل الصيد والاشارة اليه والدلالة عليه .

وسننه : الاغتسال أو الوضوء اذا أراد الاحرام ولبس ازار ورداء جديدين أبيضين ، والتطيب وصلاة ركعتين ، والاكثار من التلبية

بعد الاحرام رافعا بها صوته متى وصل أو علا مرتفعا أو هبط واديا أو لقى ركبا بالأسحار وتكريرها فى كل مناسبة ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وسؤال الجنة وصحبة الأبرار والاستعاذة من النار والتوجه للبيت الشريف والدعاء بما أحب عند رؤيته وطواف القدوم ولو فى غير أشهر الحج ودخول مكة ودخولها من باب المعلى نهارا والتكبير والتهليل تلقاء البيت للحج والاضطباع فيه والرمل ان سعى بعده فى أشهر الحج والهرولة فيما بين الميلين الأخضرين للرجال والمشى على هيئة التمهل فى باقى السعى والاكثار من الطواف والدفع بالسكينة والوقار من عرفات بعد الغروب والنزول بمزدلفة والمبيت بها ليلة النحر والمبيت بمنى أيام منى بجميع أمتعته وكره تقديم ثقله الى مكة اذ ذاك والنزول بالمصحب ساعة بعد ارتحاله من منى وشرب ماء زمزم والتضلع منه وغسل الرأس منه أو الافراغ على راسه وسائر جسده والتزام الملتزم وهو أن يضع صدره ووجهه عليه والتشبيث بالأستار ساعة وداعيا بما أحب ودخوله بالأدب والتعظيم ثم لم يبق عليه الا أعظم القربات وهى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه .

باب العمرة وفروضها ثلاثة :

الاحرام والطواف والسعى ثم يتحلل بالحلق أو التقصير وهى سنة تصح في جميع السنة وتكره يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق.

من مذهب الامام مالك رضى الله عنه

شروط وجوب الحج خمسة :

البلوغ . والعقل . والحرية . والاسلام . والاستطاعة .

وفروضه

أربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة ليلا قبل طلوع فجر يوم النحر، وطواف الافاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

واجباته :

الاحرام من الميقات والتلبية وطواف القدوم ورمى الجمار والحلق والتقصير وركعتا الطواف والمبيت بمنى ليالى الرمى .

وسننه سبع :

اقرار الحج والمبيت بمزدلفة وجمع الظهر والعصر بعرفة وجمع المغرب والعشاء بمزدلفة ليلة النحر والغسل للاحرام والدخول مكة والوقوف بعرفة .

العمرة :

هى سنة على الفور كما يجب الحج فورا على الحر المكلف المستطيع .

وفروضها :

الاحرام والطواف والسعى وسن غسل للاحرام ولبس ازار ورداء ونعلين وركعتان وندب ازالة شعثه والاقتصار على تلبية الرسول صلى الله عليه وسلم وتجديد التلبية لتغيير حال وخلف صلاة وملاقاة رفاق وتوسط مع علو صوته فيها والله اعلم .

من مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه

فروض الحج ستة :

النية والوقوف بعرفة وطواف الافاضة والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير ، وترتيب معظم هذه الاعمال .

وواجباته خمسة :

الاحرام من الميقات ، ورمى الجمار الثلاث والمبيت بمزلفة ليلة النحر والمبيت بمنى ليالى التشريق ، والتحلل من محرمات الاحرام، ولايجب الا على المسلم البالغ العاقل المستطيع .

وسننه خمس :

الافراد وهو تقديم الحج على العمرة والتلبية وطواف القـــدوم والمبيت بمزدلفة ليلة عرفة وركعتا الطواف واما طواف الوداع فهو واجب مستقل ليس من أعمال الحج (او العمرة) .

والعمرة كالحج في الاستطاعة ولايجبان في العمر الا مرة واحدة.

فروضها خمسة :

الاحرام ، والطواف، والسعى ، والحلق ، والتقصير ،والترتيب وواجباتها شيئان : الاحرام من الميقات ، واجتناب محرمات الاحرام .

والفرق بين الفرض والواجب فى الحج والعمرة أن الفرض تتوقف عليه صحة كل منهما فيبطل كل منهما بتركه واما الواجب فيصح كل منهما بدونه ويجب بتركه دم كما قالوا والله اعلم .

الحج عند الامام أحمد بن حنبل

ومن الشروط الزائدة عند الامام أحمد على شروط الائمة الثلاثة هى امن الطريق بحيث لايوجد مانع من خوف أو غيره ووجود زواج أو محرم للمراة فلا يجب عليها الحج اذا لم يكن معها محرم . وكذا وجود القائد للاعمى (واركان الحج اربعة) الاحرام وطواف الزيارة ويسمى طواف الافاضة والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة .

(والوقت المخصص انواع) وقت الاحرام ، ووقت الوقوف بعرفة ووقت طواف الافاضة ووقت بقية أعمال الحج كالسعى بين الصفا والمروة اما وقت الاحرام فهو من أول شوال الى قرب طلوع فجر يوم النحر بحيث يبقى على طلوع الفجر ما يسع الاحرام والوقوف بعرفة .

وواجبات الحج سبعة :

الاحرام من الميقات والوقوف بعرفة الى الغروب اذا وقف نهاراً والمبيت بالمزدلفة ليلة النحر والمبيت بمنى ليالى أيام التشريق ورمى الجمار على الترتيب بان يبدأ بالتى تلى مسجد الخيف ، ثم

بالوسطى ثم بجمرة العقبة والحلق او التقصير وطواف الوداع .

(وسنن الحج) :منها البيت بمنى ليلة التاسع من ذى الحجة، ومنها خطبة الامام للحجاج يوم الثامن من ذى الحجة بالمسجد الحرام ويوم عرفة بها ويوم الأضحى بمنى . ومنها استمرار التلبية الى رمى جمرة العقبة . ومنها غير ذلك كاستقبال القبلة ورمى الجمار .

جدول مناسك الحج على المذاهب الاربعة

مناسك الحج	الحنفى	الشافعى	المالكى	الحنبلى
الاحرام للحج وهو نية الدخول فيه	ركن	ركن	ركن	شرط
الاحرام من الميقات	واجب	واجب	واجب	واجب
الاحرام للعمرة	ركن	ركن	ركن	شرط
طواف العمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعى فى العمرة	ركن	ركن	ركن	واجب
التلبية مع الاحرام واعادتها بعد السعى	سنة	سنة	واجب	سنة
البدء بالحجر فى الطواف	شرط	شرط	واجب	واجب
طواف القدوم	سنة	سنة	واجب	سنة
ستر العورة فى الطواف	شرط	شرط	شرط	واجب
الطهارة في الطواف من الحدثين	شرط	شرط	شرط	شرط
ركعتا الطواف	سنة	سنة	واجب	واجب
عدم الفصل بين السعى والطواف	سنة	سنة	واجب	سـ
البدء في السعى من الصفا	شرط	شرط	شرط	واجـ
المشي فى الطواف والسعى مع القدرة	سنة	سنة	واجب	واجب

تابع جدول مناسك الحج على المذاهب الأربعة

مناسك الحج	الحنفى	الشافعى	المالكى	الحنبلى
الوقوف بعرفة نهارا	ركن	ركن	واجب	ركن
موالاة الاشواط فى الطواف والسعى	شرط	سنة	واجب	سنة
الوقوف بعرفة ليلا	واجب	واجب	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الامام (النفرة)	سنة	سنة	واجب	واجب
الوقوف بمزدلفة	واجب	واجب	واجب	واجب
تأخير جمع المغرب والعشاء بمزدلفة	سنة	سنة	سنة	واجب
المبيت بمنى ليالى أيام التشريق	واجب	واجب	واجب	سنة
رمى الجمار	واجب	واجب	واجب	واجب
عدم تأخير الرمى الى الليل	سنة	سنة	واجب	سنة
الحلق او التقصير	واجب	ركن	واجب	واجب
الترتيب بين الرمى والذبح والحلق	سنة	سنة	سنة	واجب
الحلق بالحرم وتوقيته بأيام النحر	سنة	سنة	سنة	سنة
طواف الافاضة	ركن	ركن	ركن	ركن
طواف سبعة الاشواط	شرط	شرط	شرط	واجب
الطواف من وراء الحجر والشاذروان	شرط	شرط	شرط	واجب
تأخير طواف الافاضة عن الرمى	سنة	سنة	واجب	سنة
فصل طواف الافاضة من أيام النحر	سنة	سنة	واجب	واجب
السعى فى الحج	ركن	ركن	ركن	واجب
طواف الوداع	واجب	واجب	مندوب	واجب

رأى الصوفية فى الحج

والحج عنــد الصــوفية اقبــال على الله بالكلية وهروب من دواعى البشرية الى الاتصاف بالكمالات الملائكية وقلنا فيما سلف أن الحج جماع العبادات والفرائض فهو جماع أنواع العبودية ٠

وشرط فى الصلاة والطهارة من الحدث الأكبر والأصغر وطهارة الثياب وطهارة المكان واستقبال القبلة ، وأغلب المذاهب تنص على الاكمل كاداء المناسك كالطهارة عند الصلاة . وبعضها يقول ان كثيرامن العبادات لا يشترط فيها الطهارة ـ كالصوم مثلا واجاز للحائض السعى بين الصفا والمروة . واجاز الطواف بغير وضوء فى حالة الضرورة ولم يجز الطواف للحائض كما فى الصلاة والصوم ٠ ومن شرط الدعاء فى الصفا والمروة وفى عرفات وفى رمى الجمـــار استقبال القبلة كالصلاة وكذلك استحضار القلب لحضرة الربوبية بالتعظيم والمحبة فالصلاة من حيث انها حضرة شهود تنهى المتلبس بها عن الالتفات والتعلق بغير المعبود ٠ كذلك الحج فى جميع مناسكه فذلك قرة عين النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان اذا حزبه أمر قال لبلال « أرحنا بالصلاة يابلال » وعلى الجملة فان الحج يستغرق جميع أهداف وحقائق الصلاة والعبادات الأخرى فاذا طرقنا باب أسرار الحج وجدناه يتسع ويضيق تبعا لدرجة العلم والفهم والذوق فيضيق بصفة خاصة لدى الفقهاء المتمسكين بظاهر الألفاظ والنصــوص ويتسع بصفة عامة لدى الصــوفية لأنهم خرجوا

عباداتهم بفلسفة روحية ومشارب ذوقية لها فائدتها فى التوجيه حيث تهدى النفوس العالية الحائرة المستعدة للتسامى والكمال فتوافيهابكثير من متع العقل والروح وبذلك يتلطف الشعور بالشوق والمحبة الى كمال الايمان والاحسان . ويجمع العلماء على أن أفعال الحج وتحركاته إمور تعبدية لا تعليل لها « ويتفق معهم الصوفية الا أنهم يقولون انهم نالوا كثيرا من معانيها وأسرارها بطريق الكشف والالهام . ومن ذلك ماقاله ابن العربى فى الفتوحات المكية أفعال الحج وأكثرها تعبدات لا تعلل ولا يعرف لها معنى من طريق النظر ولكن تنال من طريق الكشف والاخبار الالهى الوارد على قلوب الواجدين من العارفين من الوجه الخالص الذى يتلقاه العارف عن ربه » وفى هذا القول مايدل على أن باب الأسرار يتسع ويضيق كذلك لدى الصوفية تبعا لدرجة الكشف والالهام « وابن العربى » يقرر ذلك أيضا فانظر اليه يأتى بحكاية الشبلى وصاحبه وهى ماوراه صاحب الشبلى عنه قال :

١ – قال لى الشبلى هل عقدت الحج ؟ قلت نعم . فقال هل فسخت بعقدك كل عقد عقدته مع غير الله هل خالفت مايضـــاد ذلك العقد ؟ فقلت لا . فقال ماعقدت الحج ؟

٢ – ثم قال : أنزعت ثيابك ؟ قلت نعم ؟ فقال وتجردت من كل شىء ؟ فقلت لا ، فقال مانزعت .

٣ – ثم قال : تطهرت ؟ قلت نعم . فقال : زال عنك كل علة بطهرك ؟ فقلت لا . فقال ماتطهرت .

٤ – ثم قال : لبيت ؟ قلت نعم . فقال وجدت جواب التلبية بتلبية مثلها ؟ قلت لا . قال مالبيت .

٥ – ثم قال : دخلت الحرم ؟ قلت نعم . قال اعتقدت فى دخولك الحرم ترك كل محرم ؟ قلت لا . قال مادخلت الحرم .

٦ ـ ثم قال : أشرفت على مكة ؟ قلت نعم ٠ قال أشرف عليك حال من الحق لاشرافك على مكة ؟ قلت لا ٠ قال ما أشرفت على مكة ٠

٧ ـ ثم قال : دخلت المسجد ؟ قلت : نعم ـ قال دخلت فى قربة مع الله من حيث علمت ؟ قلت لا ٠ قال مادخلت المسجد ٠

٨ ـ ثم قال : رأيت الكعبة ؟ قلت نعم ٠ قال : رأيت ماقصدت له من أوجه الحق ؟ قلت لا . قال مارأيت الكعبة .

٩ ـ ثم قال : رملت ثلاثا ومشيت أربعا ؟ قلت نعم . فقال هربت من الدنيا ومن نفسك هربا علمت أنك قد خالفتها وانقطعت عن حبها ووجدت بمشيك الأربعة أمنا مما هربت منه فازددت شكرا لله ؟ فقلت لا ٠ قال مارملت ٠

١٠ ـ ثم قال لى : صافحت الحجر وقبلته ؟ قلت نعم ٠ فزعق وقال : ويحك انه قد قيل ان من صافح الحجر فقد صافح الحق ، ومن صافح الحق سبحانه فهو في محل الامن . اظهر عليك أثر من ذلك؟ قلت لا . قال ماصافحت .

١١ ـ ثم قال : وقفت الوقفة بين يدى الله خلف المقام وصليت ركعتين قلت نعم ٠ قال وقفت على مكانتك من ربك فاريت قصدك ؟ قلت لا ٠ قال ماصليت ٠

١٢ ـ ثم قال : خرجت الى الصفا فوقفت بها ؟ قلت نعم ٠ قال أيش عملت كبرت سبعا وذكرت الحج وسألت الله القبول فكبر لتكبيرك الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك فى ذلك المكان ؟ فقلت لا ٠ قال ماكبرت٠

١٣ ـ ثم قال : نزلت من الصفا ؟ قلت نعم ٠ قال زالت كل علة منك حتى صفيت قلت لا . قال ماصعدت ولا نزلت .

١٤ ـ ثم قال : هرولت ؟ قلت نعم . قال ففررت اليه وبرئت من فرارك ووصلت الى وجودك الحق ؟ قلت لا . قال ماهرولت .

١٥ ـ ثم قال لى : وصلت الى المروة ؟ قلت نعم ٠ قال رأيت السكينة على المروة فاخذتها او نزلت عليك ؟ قلت لا ٠ قال ماوصلت الى المروة ٠

١٦ ـ ثم قال خرجت الى منى ؟ قلت نعم ٠ قال تمنيت على الله غير الحال التى انت عليها ؟٠قلت لا . قال ماخرجت الى منى .

١٧ ـ ثم قال : دخلت مسجد الخيف ؟ قلت نعم ٠ قال وخفت الله فى دخولك وخروجك ووجدت من الخوف مالا تجده الا فيه ؟ قلت لا ٠ قال مادخلت مسجد الخيف ٠

١٨ ـ ثم قال : مضيت الى عرفات ؟ قلت نعم ٠ قال وقفت بها ؟ قلت نعم ٠ قال عرفت الحال التى خلقت من اجلها والحال التى تريدها والحال التى تصير اليها وعرفت المعرف لك هذه الاحوال ورايت المكان الذى اليه الاشارات وانه هو الذى نفس الانفاس فى كل حال ؟ قلت لا ٠ قال ماوقفت بعرفات ٠

١٩ ـ ثم قال : نفرت الى مزدلفة ؟ قلت نعم ٠ قال رايت المشعر الحرام ؟ قلت نعم . قال : ذكرت الله ذكرا أنساك ماسواه فاشتغلت به؟ قلت لا . قال : ماوقفت بمزدلفة .

٢٠ ـ ثم قال دخلت منى ؟ قلت نعم ٠ قال ذبحت ؟ قلت نعم ٠ قال وذبحت نفسك الأمارة ؟ قلت لا . قال ماذبحت .

٢١ ـ ثم قال رميت ؟ قلت نعم ٠ قال رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك ؟ قلت لا ٠ قال مارميت ٠

٢٢ ـ قال : حلقت ؟ قلت نعم . قال أقصيت آمالك عنك ؟ قلت لا . قال ماحلقت .

٢٣ ـ ثم قال زرت ؟ قلت نعم . قال كوشفت بشيء من الحقائق أو رأيت زيادة الكرامات عليك فان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الحجاج والعمار زوار الله وحق المزور أن يكرم زواره ؟ قلت لا . فقال مازرت .

٢٤ ـ ثم قال : احللت ؟ قلت نعم . قال عزمت على أكل الحلال قلت لا . قال ماحللت .

٢٥ ـ ثم قال : ودعت ؟ قلت نعم . قال خرجت من نفسك الى ربك بالكلية ؟ قلت لا . قال ماودعت . وعليك العود وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفتك . واذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك . هذه حكاية الشبلى وصاحبه من الصوفية فى أسرار الحج .

ثم ان للصوفية فى القيام بوظائف العبادات حالات ثلاثا تتنوع كتنوع مراتب الاسلام والايمان والاحسان .

الحالة الأولى ـ أن يشهد العابد نفسه عاملا لها عابدا لها وهى حالة من احتجب برؤية الخلق عن شهود الحق ويسمونها (مقام الفرق) .

الحالة الثانية ـ أن يشهد العارف العابد الحق فى عباداته فلا يرى الخلق ولا يرى نفسه وهذه الحالة حجاب عن شهود الخلق . وعن شهود النفس ويسمونها (مقام الجمع) .

الحالة الثالثة ـ أن يشهد العارف أن الله هو العامل حقا وخلقا جمعا وفرقا . فلا يحتجب بشهود الحق عن الخلق ولا بشهود الخلق عن الحق ويسمونها (مقام جمع الجمع) .

والتوحيد عندهم : ثلاث مراتب . توحيـــد ذاتى وتوحيد صفاتى وتوحيد افعالى . .

١ ـ فمن شهد لنفسه وجودا فقد أشرك فى التوحيد الذاتى لأنه (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) .

٢ ـ ومن شهد لنفسه صفة فقـد أشرك فى التوحيد الصفاتى لأنه (هو السميع البصير) .

٣ ـ ومن شهد لنفسه فعلا فقد اشرك فى التوحيد الافعالى (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) .

وهذه ألوان أذواقهم فى بيان أسرار الحج ومنها ذوقهم لاحوالهم من اليقظة والغفلة .

الاحرام : والاحرام أصـــله التجرد من الثيـــاب والزينة والمتع والسلاح . ومعناه عندهم التجرد من الصفات الذميمة واستبدالها بالصفات المحمودة والتجرد من آفات النفس والتخلق بأخلاق الله ، بخلع الصفات البشرية والتحقق بصفات الحق السبع وهى الحيـــاة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ، تحققا بمعنى الحديث القدسى الذى معناه اذا أحب الله عبدا كان سمعه ولسانه وبصره ويده ومؤيدا له . والاحرام عند الشبلى هو التجرد من كل شيء .

الطواف :

وعندهم الطواف صلاة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الطواف بالبيت صلاة الا أن الله أحل فيه النطق فلاينطقن الا بخير)) ومن فضل الطواف ماروى عن أبن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من طاف بالبيت كتب

الله عز وجل له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة» وعن مولى أبي سعيد الخدرى رضى اللهعنه قال : رأيت اباسعيد يطوف بالبيت وهو متكيء على غلام يقال له طهمان وهويقول : لأن أطوف بهذا البيت سبعالاأقول فيه هجرا واصلي ركعتين أحب الى من أن اعتق طهمانا وضرب بيده على منكبيه » ٠

ويقول الغزالى : وكما يجب على المصـــلى ان يحضر قلبه بالتعظيم والخوف والرجاءوالمحبة فعلىالذى يطوف بالكعبةمثل ذلك .ولايظنأن الطواف بالجسد فحسب ٠ بل المقصود منه طواف القلب بحضرة الربوبية فان البيت منـــل ظاهرى فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت ٠ والعبد مثال ظاهرى فى عالم الشهادة ، فالقلب فيه لايشاهد بالبصر فهو من عالم الغيب . والانسان فى طوافه متشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين به ٠ وعالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت ٠

وان هذه الموازنة بالبيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة وطواف الملائكة به كطواف الناس بهذا البيت ، ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل طواف الملائكة آمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال فيه ان الكعبة تزوره وتطوف به على ماروواه بعض المكاشفين وقال بعض العارفين :

بك ياكعبة الوفا طاف قلبى　　　　وبك تبارك الصفا فسعيت

والشبلى يقول : ان الطواف هو الهرب الى الله من الدنيا لدرجة ان الذى يطوف بفاصلها وينقطع بقلبه عنها حتى يجد فى رحله ومشيته امنا مما هرب منه فيزداد شكرا لله ٠

ولما جعل الله قلب عبده بيتا كريما وحرما عظيما وذكر انه وسعه

حين لم يسعه سماء ولا أرض . علمنا قطعا أن قلب المؤمن اشرف من هذا البيت . وجعل الخواطر الالهية التى تمر عليه كالطائفين بالبيت ولما كان فى الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله فى الطواف بما يستحقه من التعظيم والاجلال كان من الطائفين من لايعرف ذلك فيطوفون بقلوب غافلة لاهية والسنة بغير ذكر الله تلطفه وربما يطوفون بفضول القول وزوره .

والنشاة الانسانية تفضل على النشاة الجمادية فيجعل البيت رمزا والقلب حقيقة لما ورد فى الاثر « ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » .

كل هذه الآراء والأفكار تدل على مبلغ تقدير القوم لمنزلة قلب العارف لذلك الانسان الكامل المثالى ، واذا دلت على شىء آخر فانما تدل على الايمان بالانسان وبسمو غاياته التى خلق من اجلها واعظمها الايمان بالله . والايمان بالانسان سابق على غيره فى قضايا الدين والفكر . فاذا لم يؤمن الانسان بالشرف والرفعة في نفسه لن يؤمن بالكون ورب الكون .

ولقد قررت جميع الأديان السماوية قرارا نهائيا بان الجنس البشرى أشرف أنواع المخلوقات ، فان عقل النوع الانسانى هو الذى يدرك الكون ورب الكون . ولا يمكن لأى مفكر ان يهدر قيمة الانسان لأنه ان اهدرها اهدر عقله ولولا عقل الانسان ماعرف جلال الله ولا تبينت صفاته ، فالانسان هو المجلى الذى يبصر به الحق نفسه فهو مرآته . والانسان هو الفاتح لما اغلق من خزائن الوجود وهو البرزخ الفاصل بين العقل والمادة ، وهو حلقة الاتصال بين الوجود والعدم وبين الحدوث والقدم . وهو الذى يتقبل جميع صور العالم العلوى والسفلى وتظهر على صفحة وجوده صور الموجودات فيعلقها بعلمه وادراكه . واذا كانت

هذه الحقيقة تجمع فى شمولها سائر الحقائق الغيبية الكامنة وراء كل حادث فيما يتمثل فيه النشاط البازغ من الصفات الالهية ، فذلكهو منتهى ماتشرئب اليه سائر العلوم والرياضيات وسائر الروحانيات ، فاذواق الصوفية على هذا الوضع تنتهى كما ينتهى غيرها من العلوم والفنون الى التوحيد ، ومن ثم كان الانسان بخصائصه ومميزاته وعقله أشرف أنواع المخلوقات ، وأشرف من البيت فى ذاته . ولكن أمر الحج والطواف بالبيت ليس التماس ظاهر الأمر من حيث شرف البيت في ذاته على الطائفين به وتفضيله عليهم بالنوع والمرتبة ، كلا فلقد طافت الملائكة بالبيت وهم على علم من ربهم بقدر البيت واقدارهم ، وطافت الرسل والأنبياء كذلك فباطن الأمر هو طاعة أمر الله فيما قضى وحكم اظهارا لعبوديتهم لهوالتماسا للحقيقة التىتستتر وراء المناسكوالافعال ولذكر الله أكبر . فلا يظن ظان أن مقصود الصوفية من المقارنة والموازنة بين البيت فى ذاته وقلب العارف ينصب على تحدى الأمر وترك العمل . بل هو اثارة لنشاط القلوب وتسامى النفوس بتعظيم حضرة الربوبية ومحبتها وشهودها وراء كل فعل وكل ترك بلا تكييف ، والله أعلم .

تاريخ الأماكن المقدسة
الكعبة

الكعبة بيت الله وحرمه وقبلة المؤمنين من عباده قد طهرها الله من الرجس وحفظها من كيد كل جبار .

وهى تمثل بناء مربعا يشبه حجرة عالية الجدران مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة يبلغ ارتفاعها نحو ـ ١٥ مترا وبجدارها الشرقى ميل الى الشمال نحو ٢٠ درجة وكذلك جدارها الشمالى يميل الى الشرق ٢٠ درجة وطول ضلعها الشرقى ١١ مترا و ٨٨ سنتيمترا وضلعها الغربى ١٢ مترا و ١٥٤ سنتيمتراوالجنوبى ١٠ امتارو ٢٥سنتيمترا والشمالى ٩ امتار و ٩٢ سنتيمترا وفى الضلع الشرقى بابها وهو على ارتفاع مترين من الارض ويصعد اليه بسلم كالمنبر وسلمها الحالى من الخشب المصفح بالفضة وهو لا يوضع فى مكانه الا اذا فتح بابها للزائرين . وعلى الباب ستارة مزركشة بالنقوش البديعة ويحيط بجدار الكعبةمن أسفلها بناء من الرخام يسمى الشاذروان . وفى الركن الجنوبى الشرقى للكعبة من الخارج الحجر الأسود وهو على بعد متر ونصف من الارض . وزوايا الكعبة تعرف بالأركان فالركن الشمالى الشرقى يسمونه بالعراقى ويسامته من البلاد الجزء الاكبر من بلاد الحجاز ـ والعجم والتركستان ـ والعراق وشمال الهند والسند والصين واليابان وشرق سيبريا .

والركن الشمالي الغربي يسمى بالشامي . ويواجهه من البلاد غرب الروسيا وجميع اوروبا وامريكا الشمالية وتركيا وبلاد المغرب ومصر الى الشلال . والركن الجنوبي الغربي يسمى باليماني ويسامته من البلاد الجزء الجنوبي من افريقيا الى سواكن على البحر الاحمر والرأس الاخضر على المحيط الاطلسي وامريكا الجنوبية . والركن الجنوبي الشرقي يسمى بالأسود لأن فيه الحجر الأسود ، والحجر ثقيل بيضى الشكل غير منتظم لونه اسود ضارب الى الحمرة وبه نقط حمراء . ويسامت هذا الركن الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الحجاز واستراليا وجنوب الصين وسيام وجاوة وسومطرة والفيلبين وجزائر الهند الشرقية .

واول بان للكعبة هو ابراهيم عليه السلام وهذا رأى ثقات المؤرخين ويؤيده الكتاب والسنة . بناها عليه السلام حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد بامر من الله عز وجل وارشاد جبريل وبمساعدة ابنه اسماعيل الذى كان قد تركه وامه هاجر فى موضع البيت الحرام فانبع الله لهما زمزم عينا مباركة رفقا منه وكرامة لهما . واتخذت هاجر بجوار زمزم مسكنا تأوى بابنها اليه . فأمر الله نبيه ابراهيم ببناء الكعبة موضع بيت اسماعيل . وكان اسماعيل قد بلغ الثلاثين من عمره زاره أبوه للمرة الثالثة وقال له اسماعيل ان الله أمرنى أن أبنى له بيتا . قال اسماعيل : فاطع ربك . فقال ابراهيم : وقد أمرك أن تعيننى على بنائه قال : اذن أفعل ، فقام معه وجعل ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة ، فلما انتهى الى موضع الحجر الاسود من الركن قال لاسماعيل . يابنى ابغ لى حجرا حسنا اجعله علما للناس . فجاءه بحجر فلم يرضه وقال ابغ غير هذا فذهب ليلتمس له حجرا فجاء وقد وضع الحجر الاسود موضعه فقال اسماعيل : يا أبت من جاءك بهذا الحجر ، قال ارسله من لم يكلنى اليك يابنى وقد جاءنى بل جبريل. هذه رواية الطبرى فى اصل الحجر الاسود ونقلها عنه ابن الاثير . وقال ابن اسحق ان الله اودعه جبل ابى قبيس وقت طوفان نوح وأنه

لما بنى الخليل البيت جاءه جبريل بالحجر الاسود فوضعه موضعه من البيت وقال غيره ان الله تعالى أنزله مع آدم عليه السلام . ولما أكملا أساس البناء دعوا الله (ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم) فلما ارتفع البناء ضعف ابراهيم عن رفع الحجارة لكبر سنه وقام على الحجر وهو مقام ابراهيم الآن ـ وجعل اسماعيل يناوله حتى تم البناء.

وفى أوائل القرن الخامس للميلاد وهو القرن الثانى قبل الهجرة جدد بناء الكعبة قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجذوع النخل وقيل ان العماليق وجرهم جددوا بناء الكعبة قبل قصى وفى سنة ٦٠٦ بعد الميلاد وقبل الهجرة تهدمت الكعبة بسبب سيل عظيم أصاب مكة وقيل حريق اعقبه سيل ، فاجتمعت قبائل قريش وتعاونوا على بنائها وجمعوا لها الأحجار واخذوا فى هدم مابقى من بنائها حتى وصلوا الى أساس ابراهيم وبنواعليه ، حتى اذا بلغوا موضع الحجر الاسوداختلفوا فى اى القبائل تختص بوضعه فى مكانه وكاد يفضى ذلك بهم الى اشهار السلاح لولا ان أصلح النبى صلى الله عليه وسلم بينهم بحكمه المشهور فأتموا بناءها على ماكانت عليه . الا أنهم استقصروا منها ستة أذرع وجعلوها في الحجر الواقع في الجهة الشمالية بين الكعبة والحطيم . وسبب ذلك هو نفاد ما اعدوه لبنائها من المال الحلال وكان احدعقلائهم ـعائذ بن عمران ـ قد خطبهم قبل البناء فقال : (يامعشر قريش لاتدخلوا فى بنائها من كسبكم الا الحلال ، لايدخل فيها بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس) .

وقد زادوا فى ارتفاعها تسعة أذرع على بناء ابراهيم فصار ثمانية عشر ذراعا . ورفعوا بابها عن الارض وقاية لها من تسرب مياه السيول الى داخلها وقيل لكيلا يدخلها أحد الا باذن من قريش وجعلوا في داخلها دعائم تحفظ سقفها ورصفوا أرضها بالحجارة .

وفى سنة ٦٤ هـ ـ ٦٨٣ م جدد بناء الكعبة عبد الله بن الزبير وزاد

عبد الله فى طول الكعبة عن بناء قريش تسعة أذرع فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا وجعل لهـا بابين لاصـقين بالارض شرقا وغربا وجعل بداخلها ثلاث دعائم من العود غالية القيمة ، وأقام فيها مدرجا يصعد به الى سطحها وجعل للسطح ميزابا الى الحجر وهو أول من وضع ميزابا للكعبة .

وفى سنة ٩٥٩ هـ - ١٥٥١ م رممها وغير سقفها السلطان سليمان العثمانى .

وفى سنة ١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م رممهـا واصلح سقفها السلطان احمد ووضع لها نطاقين من النحاس لتقوية جدرانها .

وفى سنة ١٠٢٩ هـ - ١٦٢٩ م جدد بناءها السلطان مراد الرابع عقب السيل الهائل الذى غمر مكة وابنيتها فهدم الكعبة ماعدا الركن اليمانى .

وفى سنة ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م فرش سطح الكعبة بالواح المرمر ولم يحصل فى الكعبة شىء يذكر بعد ذلك وفى ايامنا جدد الحرمين الملك سعود ووسع مساحتها .

كسوتها وتحليتها

ولعظم شان الكعبة وجليل قدرها وسمو مركزها الدينى كان الملوك والامراء فى الجاهلية والاسلام يتبارون فى كسوتها وتحليتها بالاهـداء اليها .

وأول من كساها فى الجاهلية أبو كرب أسعد ملك حمير وأول من حلاها عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسـلم بغزالين من ذهب وجدهما في زمزم فضربهما وصفح بهما باب الكعبة .

وأول من كسـاها فى الاسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت موضع عناية الخلفاء الراشدين من بعده ، حتى عهد عبد الله ابن الزبير فكساها وحلاها وصفح أساطينها بصفائح ذهب . ثم أولع الأمويون بعد ذلك بكسوتها وتحليتها ثم العباسـيون على ذلك حتى ضعف شانهم فقام من بعدهم بكسوة البيت وتحليته الملك المظفر صاحب اليمن . وظلت كسوة الكعبة من ذلك الحين ترسل آونة من اليمن وأخرى من مصر الى أن استقرت أخيرا في سلاطين مصر وولاتها ومازالت كذلك الى الآن .

سدانة الكعبة :

وأما سدانة الكعبة أى خدمتها والقيام بشئونها فقد كانت فى ولد اسماعيل عليه السلام من بعده . ولما استولت جرهم على مكة آلت اليهم ثم انتقلت الى خزاعة لما ولوا البيت بعد جرهم ، ثم آلت بعد ذلك الى قصى بن كلاب فجعلها لابنه عبد الدار من بعده ، وتداولت السدانة من بعد عبد الدار الى ولده عثمان ولم تزل فى ذريته حتى انتقلت الى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة بن عبد الله عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار . فلما مات عثمان ولم يعقب صارت الى ابن عمه شيبة الحجبى بن عثمان ولاتزال فى بنى شيبة الى الآن .

المدينة المنورة :

هى مثوى جثمان رسول الله ودار هجراه ومتبوأ انتصاره وموطن انصاره وتقع على طول ٣٩ درجة و ٥١ دقيقه شرقى جرينتش وعرض ٢٤ درجة و ٢٢ دقيقة شمالى خط الاستواء ، وترتفع عن سطح البحر بحوالى ٦١٠ مترا . وهى مبنية فى وسط واد شاسع مكشوفة من سائر جوانبها وأغلب مبانيها من الاحجار المجاورة اليها من المحاجر القريبة وفى الجهة الشمالية منها جبل أحد .

تاريخها :

وتاريخ المدينة يرجع الى زمن العمالقة . فأول من سكنها واتخذ بها النخل وعمر بها الدور والأوطان العماليق وهم بنو عملاق بن فخشد ابن سام بن نوح أقام فيها منهم قبائل تسمى هفوسن بن سان وبنو مطروبل . ثم استوطنها اليهود من أقدم أزمانهم ، وقد نزلوا بها فى أيام موسى عليه السلام أثناء حروبه مع الكنعانيين ثم كثر نزوح اليهود اليها ، ولاسيما على أثر ما أصابهم من الذل فى دولة الرومان وخصوصا بعد ظهور النصرانية وانتصار القياصرة لها .

فكان اليهود يتوافدون الى المدينة عشائر وافرادا من الأضطهاد او الظلم فتكاثروا فى المدينة وظهر منهم عدة قبائل أشهرها النضير وبنو قينقاع .

ثم نزلها الأوس والخزرج وهم بطون من الأوس ، وذلك بعد سيل

العرم حوالى القرن الثانى عشر قبل الاسلام ، وكانوا فى ضنك من العيش . وكان على اليهود ملك شديد يدعى الفيطون استبد باولئك النازحين فاستجاروا بالغساسنة وقيل بالتبابعة فاعانوهم وانتقموا لهم من اليهود وقتلوا رؤساءهم ، فصارت الاوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة وبنوا فيها الدور والأوطان وهم الذين عرفوا بعد الاسلام بالانصار لأنهم نصروا النبى صلى الله عليه سلم لما هاجر .

وظل الأوس والخزرج في اتفاق ووئام الى أن وقع بينهم الخلاف وجرت بينهم حروب وأيام ووقائع سفكت فيها الدماء ومازالوا على ذلك حتى هاجر اليهم النبى صلى الله عليه وسلم واسلموا ، فزال ماكان بينهم من الشقاق والخلاف وصاروا اخوانا وسماهم الانصار .

« تم بحمد الله »

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/١٧٧١

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٨٦٩ - ٣

٢٥ قرشـــا

مطابع الهيئة المصرية ال